

لعنة الأدرينالين

لعنة الأدرينالين

رواية

إيمان السيد

الطبعة الأولى .. ديسمبر ٢٠١٤



دار الحلم للنشر والتوزيع

٤ شارع الاشراف - مؤسسة الزكاة - المرج - القاهرة

المدير العام : د.اسلام فتحي

موبايل : ٠١١٤١٨٢٤٥٦٢

dar_el7elm@hotmail.com

تصميم الغلاف : محمد عبد السلام

اخراج داخلي : الحلم للدعاية والاعلان

رقم الإيداع : ٢٠١٤/٢٦٣٨٣

ISBN : ٩٧٨-٩٧٧-٦٤١٢-٩٣-٤

إن دار الحلم للنشر والتوزيع، غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعتبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

إيمان السيد

لعنة الأدرينالين



obseikan.com

الفصل الأول

obseikan.com

الحياة تحتاج لعصاه بشرية لتتسكع عليها خوف الوقوع !
فماذا إن فقدت تلك العصا ، أما عليك مقاومة مطبات الحياة ،
أوالاستسلام لتيارها الشانق ، لعلنا ندرك أن الحياة كأضغاث أحلام ..
أنها خانقة في لحظتها ولكنها حتماً ستنتهي .. !

oboiikan.com

تدور الأحداث في منزل في حي شعبي من أحياء القاهرة .. في عمارة صغيرة قديمة ومغمورة داخل إحدى الحواري .

صحوت من النوم أتخبط بأركان المنزل أشعر بأن روحي تقلع من جسدي ببطء ، نظرت حولي منزل قديم بالي ! حتماً لم أراه كذلك في الأيام الماضية ، كان يكسوه روح والداي ينثران لنا نغم الحياة ، أصبح حمل الحياة علي وحدي ، فقط أدركت أن علي خلع مشاعري الأثنوية وروحي الطفولية ، لأرتدي درعاً واقياً وأبني لشخصيتي اللطيفة الوردية بعض العضلات لمواجهة قتال الحياة ، إن الحياة تحتاج لعصاه بشرية لتتسكع عليها خوف الوقوع ! ، فماذا إن فقدت تلك العصا ، إما عليك مقاومة مطبات الحياة ، أو الاستسلام لتيارها الشائق ، لعنا ندرك أن الحياة كأضغاث الأحلام .. أنها خانقة في لحظتها ولكنها حتماً تنتهي .. ! ، ومرايا بيتنا المليئة بالشروخ التي تحاكي الزمن .. وجدت فيها بقايا من نفسي ، شعري الطويل الأسود الغير مرتب وعيناي المنتفختان يكاد البياض يختفي من شدة احمرارها ، أيادي وأصابع دقيقة ترتجفان ، جسد هزيل يكاد يقع ، ضجيج بداخلي يقاتل للتمسك بالحياة ، وساقى الهزيلتان تحاول إنقاذ جسدي من الوقوع ولا فائدة في ذلك ! ، تهاوى جسدي على الأرض كقطع الزجاج المكسور ، وحنجرتي التي باتت تشبه قطعة معدن يكسوها الصدء لكن حنجرتي كساها العلقم ، ناتج نحر صوتي من تجهشي في البكاء ، لم تعد تعزف ذاك الصوت الذي لا يسمعه أحداً إلا ومدح فيه ! ، وبلا فائدة لم يغير البكاء شيئاً بل زاد الأمور سوء فوق سوء ! لم أعد ألان تلك الأخت العادية .. بل ركبتي المسؤولية والهجوم كما يركب الجان الإنسان ! ، مضت ثلاثة أيام العزاء كالتبخر . لم أري فيها أحد من أقاربي .. منهم من في الخارج ومنهم من في المحافظات

الأخرى ومنهم لا أعلم عنهم شيئاً .. ، أتى فقط الجيران والأصدقاء .. يقولون كلماتهم ومواساتهم " أتشجعي .. شدي حيلك " ، حاولت تحريك جسدي هماً للصعود أساند على الجدران ذاهبة لغرفة أخوتي ذلك الحمل الذي سأدفع له حياتي ثمناً ليكبّرون ! دخلتُ الغرفة بخطوات ثقيلة ومبعثرة في الأشياء داخل تلك الغرفة الفوضوية !

أملاً أن يوقظهم ذاك الضجيج نَظَرُ إلي زياد .. أخي في عمر الثلاثة عشر عام .. بعينين مهمومتين قرأت فيهم أنه لم يكن نائم بل غارق في دموعه !

لم أحدثه ولكن رسمت له ابتسامة كاذبة تعكس خلفها حزن عميق .. ثم ذهبنا لأوقظ التوأم ، روان وورنا الذين لم يتجاوزا الثامنة ، كان البيت يكاد يخلو من الطعام تقريباً .. أمي وأبي كانا يجنيان المال بسلاح عرقهم اليومي ! ، ليس لأبي معاش فهو لديه محل نجارة ، وأمي خياطة تعمل في محل لنا صغير وسأتابع أنا أعمالها ! ، لأعيش عليه أنا ورعيتي الصغار ، أيقظتهم .. وكان وجههم يبعث منه الحزن والأسى ذبلوا وهم في سن الزهور ! .. قلت لهم أن يستيقظوا لأحضر لهم الفطور .. شعرت أني أكذب عليهم فدخلتُ المطبخ لأبحث عن شيء يأكل لم يكن يوجد غير بعض الخبز " الجاف والمعفن " ، لم يكن معي سوى مئة وخمسون جنيهاً كنت أخاف أن أصرفها تطير مني وليس بيدي غيرها ! ، وأشحتُ في الطرقات طالبة الحسنة .. لا تتحمل البلد المزيد من التسول ..

وقفت أسرح تائهة ماذا أفعل كيف أطعم هؤلاء اليتامى ! ... فقاطعني صوت دقات الباب ، كانت جارتي امرأة عجوز .. أعطتني فطور بسيطاً رفضت بشدة لعلمي بأن حالتها كانت سيئة ونحن من

كنا نساعدها لكن الأمر تبدل ! .. ربما كانت ترد الجميل وفاءً لأمي
الطيبة .. وبعد إبحاح وافقت ! ، دبرت تلك المرة من عند الله ، ثم
نديتُ على أخوتي لتناول الفطور .
- يا زياد يا رنا يا روان تعالواكلوا

سألني زياد وكان سنه سن طبعي لأدراك كل شيء

- جبتي الأكل ده مين !
- جارتنا ست طيبة وجابتهولنا
- ماتخديش حاجة من حد رجعهولها وأنا هجبلكم فطار
- زياد أنا المسؤلة دلوقتي هنا والمطلوب منك تسمع الكلام
وبس .

رفع صوته وبدأ يتذمر حاولت منع نفسي من الكلام أو أن أشعره بما
نمر فيه ولكن النقاش معه بدون جدوى إنه فتى عنيد لديه عزة نفس
وثقة قوية ، يتحدث بتثبیت عينه في عيني ومن ثمة يرميها بحركة
سريعة متناغمة في بطئ في اتجاه آخر .. مما أثار غضبي شخصيته
المائلة للغرور وهو فتى صغير ماذا سيفعل عندما يكبر! ، بعد شجار
طويل نفذ صبري فقلت له بنبرة غضب وصوت عال مبوح ..

- زياد انتا عارف أن إحنا مبقاش معانا فلوس خالص بقينا على
الحديدة وكل اللي حيلتنا دلوقتي مائة وخمسين جنيه في البيت ومعرفش
مفروض تفضل معانا لغاية إمتي ده أنا هحاول أعمل المستحيل عشان
أضمن لكم عيشة كويسة وتكونوا ناس محترمين .. أنا بعد ما فضلت
أسهر وأتعب وأخيراً أجبب مجموع كلية الطب ومش هدخل جامعة
خالص بعد كل السنين دي !، وأحنا محلتناش اللضى مش هاروح زفت

جامعة ولا حاجة أنتو أولى فحرام عليك ما تتعبنيش بقى حرام عليك ،
وتركته واغرورقت عيناى بالدموع مكررة " حرام عليك .. حرام عليك "
مضى نصف اليوم ولم أذق طعام أي شيء حتى المياى وظل زياد فى غرفته
لا يكلم أحداً ، فارتديت ملابسى لكى أشتري له شيئاً يبث فيه الحياة ..
وأكدت على الفتاتين أن يبقى هادئتان كانا واعيتان ، بعد وفات والداى
أصبحا هادئتان وزال عنهم شقاوتهما ! ، فتحت الباب مسرعة ففدعت
بوجه عمى فى وجهى !

فقلت بفرع ...

- عمى ! .. ايه الى جابك !
- ايه يابت يا نهى خضىنى ! .. وبعدين ايه قلة الذوق دى اكيد
مش جيبالك روحى نادىلى امك وأبوكى بسرعة
- مممم كمان ماتعرفيش !
- لا أعرف ايه ! يلا يلا
- ماما وبابا اتوفوا وانهاردة اليوم الرابع لوفاتهم
- ايه ده يعنى مش هيحضروالفرح ! ياخسارة

كان بودى لو أقتلها أو أمسك بـ " قلة " أكسرها على رأسها الكبير !
- فرح ايه باقول لحضرتك اتوفوا وبعدين فرح مين إن شاء الله
- فرح سوسو.. بنتى ، مش هتغلها بقى فى فرحها .. ثم تذكرت
فرسمت الجدىة المزيفة !"
آه صحىح إيه إلى حصل ماتوا سوأ كده.. سمعت صوت أقدام على سلم
العمارة فقلت ..

- طب أفضلي مش نتكلم كدا !
- ماشي .. احكي لي بقى إيه إلي حصل
- ماما وبابا كانو مسافرين شغل كده لبابا والأتوبيس أتقلب بيهم ربنا
اراد انهم يموتو وكل إلي في الأتوبيس يعيشو!
قلت ذلك بدموع مزقتني وأتفاجئ بردها ...
- آه انتي هتقوليلي أمك وأبوكي طول عمرهم فقر !
لم تكن عيني في ملتقى عيناها ولكني رميت بعيني سريعا لها لذاك
الكلام وقلت بغضب ..
- اطلعي برة يا ست أنتي أنتي أنسانة مش عارفة هتروحي فين
من ربنا حسبي الله ونعم الوكيل فيكي مش كفاية إلي عملتية قبل كده
هنا لأمي ومعدكيش كرامة وجاية تاني أنتي اكيد مجنونة !
قلت كلامي في انفعال من القلب حتى كادت تخرج عروقي وتنفجر في
تلك الحرباء المستفزة ! .. لقد كانت تتهم أمي دائماً بسرقة حقيبتها
وهيا في بيتنا لمجرد أنها لم تكن تحبها وكان حلمها أن ترى أمي وأبي
مطلقين ولأن أبي أحب أمي حبا جما فقد كرهته !
هي لم تحظى بزواج ناجح وأنا عاذرة طليقها فهي لا تحتمل ، حقاً لو
أدركت أن تقف عن النظر لما في يد الناس .. تسلم ، وأن كانت تدع
الخلق لخالقها لعاشت مرتاحة البال ، طبعا لم ترد علي .. بل أسرع
من إحكام مسك حقيبتها في غضب متممة كلام غير مفهوم ولا مسموع
وذهبت ولم تعد أبدا ! وذاك ما كان يجب أن يكون .
ثم نظرت حولي فوجدت رنا وروان ينظران في دهشة وكان واضح أنهم
متابعتان كل شيء من البداية بحثت عن زياد بعيني بحركة سريعة فلم
أجده !

إنه فتى قوي وقاسي ولا يهز نفسه أبداً ، كانت أمي بالرغم من ذلك لم
تشتكي منه فقد كان يعشقها ولا يتجرأ عليها أبداً ...
برغم ذلك أقدر مشاعره وأتفهمها ، كلنا في مركب ضائعة وسط محيط
في ليل دائم يضح قلبه بالرعب من الأيام ومَرَارِها !

ذهبت واشتريت له طعامنا المصري التقليدي ! " سندوتشين فول
وطعمية "
وذهبت له حيث يمكث في صمت
- زياد ، انا اسفة على ال حصل
- لوسمحتي يانهى سبيني لوحدي
- زياد يا حبيبي انت ماكلتش من الصبح انا جب ... " قاطعني
.. "
- بقولك سبيني لوحدي !
- جبتلك سندوتشات
- شكراً ما بحبهاش ..
- أنا مش بعزم عليك على فكرة أنت هتاكل يعني هتاكل وطول
ما انت مش هتاكل مش هاكل انا كمان
" برغم قسوته إلا أن داخله طيبة أطمح أن أخرجها "
" وبعد عناد "
- خلاص بقى كل
- هاكل بس بشرط تاكلي معايا !

- في بواقي اكل من أخواتك جوه هكله

- لا ! ، انا قلت تاكلي معايا

- فففف حاضر امري لله !

مر باقي اليوم في النطاق الطبيعي ونام الجميع وظللت أنا مستيقظة ، بدأت أتوهم بحركة الأشياء في الشقة وأسمع أصوات ليس لها وجود .. حتى رأيت ظل يُتابعني فارتجفت أناملي وقصدت غرفة أخوتي في بطئ فكانوا يغرقون في سكون ، فقصدت غرفة والدائي .. غرفتي الجديدة " وفي الطريقة " تهيأت بذلك الظل خلفي فشعرت بشعور مريب لا يوصف .. ووقعت على الأرض دون شعور بقدمي فذهب وعيبي ! ...
وفي الصباح :

- يا نهى يانهى اصحي ايه اليه نيمك في الطريقة !

فتحت عيني بددت الصورة تهتز حتى وضحت ، فرأيت رنا وروان وزياد بقلق حولي

- آآه ... انا انا كنت قعدة هنا وغلب عليا النوم ماتقلقيش يا

رنا، متقلقوش يا حبابي

رنا : " باستهزاء "

- كنتي قاعدة في الطريقة !

أعطاني زياد يده فنظرت له في عجب ! .. حدقت بعينه العسلية التي شدتني لأول مرة ! .. فأمسكت بيده وهممت بالنهوض ، حقاً طوال السنوات الماضية لم أتفق معه أبداً كنا كثيري الشجار وكنت أغار منه بسبب تعلقه بأمي كثيراً .. لكنه أخي لا أكره مهما كان ! ، لكنني لاسيما ميزت رنا وروان وأحبتهما أكثر منه ، ولكنني ألان أماً لهم وعلياً حبههم من عميق قلبي دون تفرقه ، ويجب أن أخلع ثوب الطفلة من داخلي..

لكي تمر الأيام !

، لكن ماذا عن الأمس النوم العميق والظل وذاك الشعور المخيف ، لا
أحتمل التفكير ، أمسكت هاتفي لأتصل بصديقتي هيام " ، فأسمع ،
عفواً لقد نفذ رصيدكم ..

- افففففف ده الي ناقص كمان .. وفجأة رن جرس الباب
فافتحت رنا مسرعة ..

- بنت استني مش تشوفي مين الأول ! " لكن لا حياة لمن تنادي
في هذا البيت "

- يانهى دول صحابك هيام وياسمين

- تعالو تعالو اخيرا جيتو!

" لم يفارقاني لحظة أيام العزاء ولكنهم اختفوا اليومين الماضيين " فردت
هيام

- معلش يابنتي والله كنت مشغولة اوي اليومين الي فاتو ماما
مسافرة واخواتي مطلعين عيني

وقالت ياسمين والتي كانت دائما مفرطة في حياها لي ! .. بسبب رغبة
اخيها المهندس رامي أن يطلب يدي للزواج ، ومنتظر إنهاء دراستي
بفارغ الصبر " هو لا يعلم أي لن أتزوج .. بالإضافة أي لم أوافق من
الأساس ! "

- انا اسفة والله يا حبيبتني مقصرين معاك ده حتى رامي باعتلك
سلام وبيقولك البقاء لله ومضايق جدا وحالته النفسية مدمرة و... و....
" فقاطعتها "

- الله يسلمه ، انتو مش مقصرين والله انا عارفة ، اقعدوا احنا

هننقضها وقوف !

نظرت لي هيام بعين خجولة ، وهيا فتاة هيفاء جميلة .. نتشابه في

الطول والجسم ، وهيا صديقتي منذ الطفولة وقالت

- نهى انا اسفة في كلامي بس ده غصب عنك مش اختياري ولازم

تتقبله " تنهدت الصعداء ثم قالت في قلق " أنا وياسمين هندفعلك

فلوس الجامعة مينفعش بعد كل ده تضيعي عمرك !

- بعد اذنك يا هيام انا مش هسمح بكدا وانتي عارفة كده

كويس وأنا "قطعتني بنبرة صوت جادة عالية "

- نهى ده مش اختياري حرام عليكي يابنتي سنين حياتك والتعب

الي تعبتيه " وعلقت " ياسمين "

- ايوه يانهى وبعدين أنتي صحبتنا ولو مالكيش خير فينا

هيباقلك خير في مين !

- بعد اذنكم يا جماعة أنا مش هرضى بكده أبدا وأنا ... "فقاطعوني

مرة اخرى "

هيام :

- يانهى ده مش أختياري على فكرة أنتي ليه مش بتعتبرينا

أخواتك !

فقالت ياسمين ،

- ايوه يانهى أنتي ليه .. " فقاطعتها بصوت عالي بغضب "

- سييولي فرصة أتكلم ! .. انا هافتح محل الخياطة بتاع ماما وأنا

عندي خبرة مش وحشة عن الموضوع دي و.....

فقاطعتني هيام بغضب ،

ايه يانهى انتي هتجنيني!! .. انتي هتجيبني فلوس الجامعة وفلوس

أفتش في أركان المنزل أتشمم رائحة المال لم أرى في الأدراج شيئاً فقلت
حتماً في الأغراض ، لم يترك أبي وأمي لي عندما سافران مالاً ببساطة لأنهم
سيعودون في نفس ذات اليوم ولكن كان السفر بلا رجوع .. كان سفرأً
للسماء !

رئيت في حقائب أمي مالاً " خمسين جنييه وشوية خمسات على شوية
فكة " وفي جيوب أبي وجدت " ثلاثة مئة جنييه " فرحت فرحاً يسع
المدى .. وجدت زياد واقفاً عند الباب

- لقيتي فلوس !

- آآه ، بقولك عايزين نروح محل النجارة بتاع بابا اكيد فالخزانة
فيه فلوس انا معايا مفاتيح الخزنة .. هناجرالمحل وهيبقى بمثابة دخل
شهري لينا

- اشطة .. !

- ومحل الخياطة بتاع ماما انا هشتغل فيه

- ده على أساس أنك بتفهمي في الخياطة اصلاً !

- آه عندي خبرة مش وحشة يعني

- والجامعة !

- لسة مش عارفة ، هيام وياسمين جم انهاردة و...

- آآه ، منا سمعت كل حاجة ، وهتعلمي ايه !

- مش عارفة محتاسة وتعبانة ومخنوقة ومش عارفة اعمل ايه ..

- انا فكرت اني اشتغل الاجازة لسة طويلة وانا فاضي !

- انا بعمل كل ده عشان اريحكم مش عشان اتعبكم

- ماتخفيش عليا أنا ... " قاطعته "

- خلاص الموضوع انتهى ..

- ماتفرديش سيطرتك عليا ، انتي مش أمي على فكرة
- ماطولش اني اكون زيها ، بس دلوقتي انا الكبيرة هنا
- كبيرة على نفسك
- يا سيدي اشتغل اتهبب اعمل الي يعجبك نراضيكم مش
- عايب ولومراضينكمش برده مش عايب .. جنتوني " وبدأ الصوت
- يعلو أكثر !"
- اصلا مش محتاج اذنك !
- اففف امشي من قدامي عيل بارد....
- شكرا يامحترمة واصلا الأوضة اوضة امي ومش من حقك
- تترضيني منها بس ما طرح ماتكوني انا هطفش من قدامك
- احسن غور
- وكانت الساعة في تمام السابعة
- جئت صديقاتي فافتحت الباب
- مغلش أترنا عليكي
- عادي ... كنتوفين
- كنا بنعمل Shopping .. انتي مقاسك زي هيام فجبنا لك
- حجات لزوم الجامعة
- انتوبتهظرو! ، يا حبايبي شكراً جداً جداً ، بس ما قدرش اخدها
- !
- " نظرتا لبعض في اندهاش فقالت هيام "
- نهى احنا عارفين ان مامتك وباباكي الله يرحمهم كانوا
- مخلينكومش عايزين حاجة ومعيشنكواحلى عيشة .. تفرضي أنا الي
- مكانك مش هتسعديني !

- ماعلش يا هيام انا مش بشحت ..
- تشحتي !! احنا مش بنساعدك على فكرة احنا بنعتبرك
- اختنا والأخوات لما بيحببولبعض حاجة مش بيشتحتوبعض على فكرة
- ايه يانهى الكلام ده هتزعلينا انا وهيام منك كده .. ليه بتعملي
- حدود بينا
- فانهرت بالبكاء ..
- حرام عليكوبقى ماتضيقونيش .. انا معايا فلوس على فكرة
- وهجيب مين قال اني مش هجيب لقله فلوس ياعني ! انا عندي ورث
- محلين وبابا كان دخله كويس جداً ولسه خيروعلينا حتى بعد ما مات
- و.....
- وكلام كثير من القلب مخلوط بدموع تظهر الشدة والعشق لصديقاتي
- الأوفياء ..
- لقد مسحا دموعي وضموني لهم بقلبهم وجسدهم وكلامهم ..
- هيام :
- حبتي ماتعيطيش انتي عارفة انتي غالية علينا قد ايه
- ياسمين :
- ايه ياعم الدموع دي طلع في دم اهو
- ياسمين !!
- ايه بهظر ! انتي عارفة هيا غالية عندي ازاي
- " انتهى الموضوع بتبديله على ذكرياتنا ايام الثانوية " وتبدل لفرح فا
- وضعت قناع السعادة .. وخفيت ما أبدوعليه .. أنهم يحاولون أسعادي
- على الأقل لا أخذلهم وأحملهم همومي .. ولكني لا أنكر أصبحت بهم
- أفضل .. الأصدقاء هم أكسجين الحياة .

وبعد أن ذهبتا تركا لي جرحاً من دماً منثور عليه بعض ورقات ورد
حمراء من أثر بلسم عطهرهم .. لكن لا تميز عن لون دمي .. فأظل أنا بها
حائرة مرددة كيف أشعر !
أنه يشبه شعور الجرح القطعي الذي مهما خيطته .. يبقى الأثر !
بعد ما أنصف الليل وبعد نوم أخوتي ..

كان لدي بيانوقديم أنذكر كيف أشرتته لي أمي بعد " تحويشة كام شهر
من شغلها " لأعني عليه ألحاني الساذجة ! المليئة بالفرح أمله أن ذاك
يسعدني ، جلست عليه أتحسس بأصابعي تراب الأيام الفاتنة عليه ،
وأبدأ بالعزف عليه رغماً عني
لامست أصابعي البيانووعزفت لحناً حزيناً .. وبدأت أعني بصوتي
المبحوح من آثار البكاء ... غنيت كلماتي التي كتبته من بضعة أيام أنا
أترجم إحساسي بما أكتب ... غنيتها على لحناً ولد من وحي اللحظة ..
لحناً حزين غير مرتب ..

أمي هل تعلمين كم سألت الدموع على الجبين
إن كلمات شعري تكثفت لتملاً آلاف الدواوين ، أمي بعدت بيننا الأم
السنين .. اني أتعذب بالحنين
وأشتاق لكي أنعلمين ألي أيضاً تشتاقين .. وهل لحنيني تبادلين
أمي شكا العالم من ضجيج الأنين .. لا يوجد دواء لقلبي الحزين
أمي ذبلت في عمر الزهور .. وأختفت من عالمي صدحات الطيور
ودموعي بحر المرشدين أمي أشتاق لكي أنعلمين
أمي ألي أبكي هنا .. وكل الفتيات في عمري تغنين ...

" وتوقفت على صوت أنين أحدهم " ففزعت بالفتة سريعة ولم أكمل
غنائها بعدها

كان زياد بعيونه غالب عليها لونهاً أحمر من ألم البكاء فأسرعت إليه
وضممته ألي بدون كلام " ونسينا ما فات كأن شيئاً لم يحدث .. هذا ما
جب أن يكون بين الأخوات "

فراح يبكي ويبكي .. طفل بدموع مشرّدة تائهة .. كل دمعة منه دخلت
قلبي كالسهام الضالة الطاعنة .. فا كفت دموعي ليشم قوتي فيصبر،
ولكنه استمر في البكاء فهونت عليه ببعض الكلام

- زياد يا حبيبي متعيطش ، زمان ماما دلوقتي في الجنة هيا وبابا
فرحانين و..

فنظرت إليه رأيت فيه كلامي بدون جدوى ! فهوليس طفلاً صغيراً ،
شيبته الأيام وأتعبته وأنهكته ، راحت نظرتة الطفولية أنه صغيراً لكن
نظرتة تحمل ألم عجوز في الثمانين من عمره عاش حتى سئم العيش ..
أخذته بين أحضاني حتى انتهى وأنهكه البكاء فنام على الأريكة .. فقبلت
رأسه وداعبت شعره بيدي ، وذهبت لغرفتي ، كم من الصعب أن
تكنم دموعاً تحاربك لتسقط ، قتلتنى دموعي كالنار في جسدي ، وذاك
الصغير كم يعاني ..

جلست مشرّدة الذهن مركزة بصري على سقف الغرفة فلمحت ظلاً
أسود يجري ، فذعرت وأغمضت عيني وأتيت بالغطاء فوق رأسي .. ذاك
الظل شابه الظل الذي رأيتة قبل ذلك ، غالبني الخوف وقتلني الجبن

ولازمت سريري حتى أتى الصباح ، كان نوماً مقلماً مليئاً بالكوابيس وليلاً مظلماً مليئاً بالهلاويس! ..

حتى أتى أول شعاع شمس في الغرفة أخيراً .. ملأها دفء وأخذ في طياته الرعب والقلق .. حتى داعبت الشمس عيني وأيقظتني فتبسمت لها هامسة والسكينة ملأت قلبي ... مرددة اين كنتي !

كانت السادسة آن ذاك ، ذهبت إلي المطبخ وأعددت كوب قهوة وذهبت إلي غرفتي التي غزاها أشعة الشمس فأشعلت الراديو وكان لحناً فيروزياً .. لكنني لم أمالك نفسي فأطفأته ! .. لم يعد مزاجي مناسباً لفعل العادات القديمة ، أخذت قهوتي واتجهت إلي الشرفة وهيا كقطعة شطرنج صغيرة ، نظرت لحينا العشوائى الذي يغمره الضواء ساكناً نوعاً ما ، ارتشفت قهوتي متعطشة لها كمصاص دماء كان صائماً من أيام عديدة ! ، سرحت في ذهني عن ليلة البارحة وعن خوفي حديثاً من الظلام .. تملكني رعب عند التذكر ، وصرت أخاف من اشيء ساذجة .. حتى دقائق الساعة بدت كل دقة تبث بداخلي رعباً وكأنهنا تبشرني بأيام وليالي كالجحيم ! .. لا أعلم ماذا يحدث العالم لا يتأثر بموت الناس .. هل أنا عائق نفسي ، ما المشكلة .. أخاف أن أكون أنا المشكلة ! ، ... وثم ارتميتُ على سريري مجدداً حتى التاسعة والنصف ، أيقظني دقائق الباب .. أنها جارتى الطيبة .. فتحت لها الباب فدخلت وسلمت علي بيدها التي تملأهما العجزة والعروق البارزة التي تحكي حكايا تروي الزمن ! ، بادلتني حديث طويل وكانت دائماً مكررة " يابنتي لوعايزة حاجة انا جمبك اعتبريني امك "

اخذ الموضوع بضع ساعات ، ولكن أصبح بين قبضة يدي سبعين ألف جنيه ، واخذنا باقي الأشياء " الخشب ومستلزمات النجارة وقمنا ببيعها " للروباميكيا " وعلقنا على المحل يافطة " المحل للإيجار "

في المنزل في تمام الخامسة...

لا اعلم أذوق أحدكم طعم الحرمان ثم أظَرَ على بهاء ونعيم .. كنت أتشمم رائحة المال ..
والآن معي ما يكفيني ! ، أتيت بأشهى الطعام ليروي أجسادنا الهزيلة ..

أخذت المال بين يدي بشهوة الدنيا حتى أني لم أشكر من أعطاني ..
ليس غريباً ماذا تتوقع من فتاة مثلي " مابتكرعهاش " لقد ران على قلبي
فجمع حول قلبي الجبن آباييل آباييل ..

أخذت ورقة وقلم وبدأت ارتب أموري من حيث " مصاريف المدارس
والكلية والبيت والأكل والفواتير و.... الخ " ، الحياة أمر مرهق أن كنت
تحمل حملاً ثقيلاً ، إن من يعكس في عينيه صورة والداه فليغلقلهما
بشدة خشية فقدانهم وخشية نفسه من الضياع ... فإنه لا يشعر بتلك
الأمر والهموم أصلاً ! .. من لديه تلك النعمة لا يملك حق التذمر !

بدء الوقت يتسارع والعقارب كلما تحركت شبراً باتت تلدغني .. الخوف!
من سواد ليلي .. لم أنم .. ظللت موقدة نور غرفتي والكل نائم ..
فصعدت لشرفتي الصغيرة ، كان الجو غير هادئاً فلم تنم بنت المعز
الليلة .. حارتنا حارة مصاحبة للسهر أطفالها لا ينامون .. بعكس أخوتي
هم نائمون ويناموا باكراً ..

ولكني سمعت صوت أختي روان من خلفي تنادينني ، فظننت أنها
بالكاد استيقظت

فاليبت النداء ودخلت باحثة عنها

، روان .. روان فدخلت غرفتهم وكان الجميع نائماً !

أصابتنني قشعريرة في جسدي فكتمت أنفاسي خوفاً حتى أتيت غرفتي
.. فبدأت أتلاقط أنفاسي مكذبة نفسي " ده صوت الناس إلي فالشارع "
... فزال بعد القلق ..

ولكن دقائق الساعة كل دقيقة كانت تخطف من قلبي دقة ! ... كنت في
حيرة أنام فأرى كوابيس تفوق رعب الواقع .. أم استيقظ فـ " تونسني
" هلاويسى اليلية ، اتجهت للمطبخ صنعت كوباً عملاقاً من القهوة ..
فالفناجين صغيرة لا تشبع رغبة المرضى مدمني القهوة ..

ثم اعتكفت غرفتي وأمسكت كتاباً .. القراءة تخطفُ العقول من مكان
لمكان في لحظات .. وهذا ما أريده ، وتعمقت في القراءة حتى نسيت
ولكن كنت قد أنهيت قهوتي وذهبت لأضع الكوب في المطبخ كانت
الساعة الرابعة والنصف فنظرت في المرأة التي تعكس صورة الباب
وجدت فيها شخصاً واقفاً عند الباب أنه ...

أبي " المتوفي !..

المتوفي !..

واقفاً يبتسم لي ... !!

فهلعت فزعاً ! ..ورميت ما بيدي وسقطت أرضا حتى التاسعة صباحاً

obekikan.com

" في الصباح المرافق لضوء الشمس "

وجدت نفسي كالجثة مرمية على الأرض والزجاج منثور حولي وغارز في جسدي والطفيف من الدماء منثور فوقي .. ففرغت من منظري ، حاولت أن أهم بالوقوف ولكن رأسي كانت تدور كمن كان يلهوف " الملاهي " ، قاومت حتى لا يُفزع أخوتي من ذاك المنظر .. نظفت الأرض من الزجاج المنثور ، وذهبت لحمامي أشبه الكهل أتسند في عمر مراهقتي "مراهقة الكهول ! "

كان منزلنا أشبه بساحات المرايا والصور كـ " الأستوديو " ، فنظرت لباب الحمام الذي كان عبارة عن مرآة كبيرة فوجدت شخصاً غريب .. !
.... أنا لا أهلوس .. أنها أنا ولكنني صرت كهله ! ... ، شعري الطويل الأسود هوقط ما يزيل عني شيب عيناى المنهكتان .. ، وبدأت امسح دمائي ، قَطَعَ الزجاج غارزة في جلدي بمنظر بشع .. فارتديت شيئاً مستوراً .. جلباب أُمي .. لكي لا أَرعب الصغار مني ، خرجت وصنعت قهوتي .. وبدأت أحدثُ نفسي عن أحداث البارحة ، لا أتذكر التفاصيل وكيف وقعت ولكن .. عندما وقعت ارتطمت رأسي بشدة أرضاً .. حتى أنني أشعر بأن بها زلزال أوربما هزة أرضية فتكت رأسي ! ، والغريب والذي لم يكن غريب بالنسبة لي أنني أقنعت نفسي أن أبي جاء البارحة حقاً من قبره ليزورني ! .. أوربما أشتاق لي !

وهنا بدأت متاعبي وقطعت الشعرة البيضاء التي كانت جسراً بيني وبين الجنون ، نسيت ما حدث بغرابة .. بعد ذلك الإقناع الغير عقلي .
بعد بضع ساعات :

فتحت " الدولاب " وارتديت فستاناً طويلاً رمادي اللون من خامة الليكرا المريحة ذوأكمام ضيقة .. كان أنيقاً فقد كان من صنعته أُمي ..

وسرحت شعري الطويل الأسود ووضعت فيه فيونكة حمراء وحددت
عيوني بقلم كحل أسود .. ورششت بعض العطر بأمر شيطاني ! ليرتشف
مني .. كل من يمر بجانبني ، عادت ثقتي بنفسي وبدأت أعود للفتاة
نهى ألفتة بالأنوثة كالماضي ، ونظرت لأحد المرايا وضحكت ضحكة
عدوانية شريرة ! ، لا أعلم لما فعلت ذلك ولكن كانت بداية أفعالي
الغريبة ضائعة التفسير .. ! ، دخلت غرفة أخوتي وهمست في أذن زياد

- زياد أنا رايحة محل ماما هجرب حظي في الشغل

- ماشي ماشي

- ايوه يعني قوم عشان تخلي بالك من اخواتك

- حاضر حاضر روعي انتي وماتقلقيش

- اوگ .. سلام

" على السلم "

أغلقت الباب وأخذت حقييتي الحمراء ونزلت على السلم فرأيتني اثنين جاراتي فنظرن لي " بقرف " ثم نظرن لبعضهن .. حتى أنني مررت ثم سمعتهن يمارسن الجريمة النسائية الشهيرة " النميمة على خلق الله " ..

مرددات .. ايه اليه البت دي مهباه في نفسها ده أمال لوعندها فرح هتعمل ايه .. آآه تحسيها مصدقت تخلص من امها وأبوها !!

كان كلاماً جارحاً على الأقل ينتظروا ذهابي ! ، أنهم لم يدخلوا قلبي ليكشفوا عما بداخلي ، هن لا يعلموا كيف أثر كلامهن الجارح بداخلي ، هن لا يعلمن أن صميم قلبي قد قطع وأني أعدت لحمه من أجل ممارسة حقي في الحياه ! .. ، غير ما دخل الألوان أصلاً أن الحزن هو حزن القلوب غير ذلك فهيا مجرد مظاهر كاذبة .. فمشيتُ مرددة لا بأس لا بأس أنه " مجتمع عقيم "

" في مترو الأنفاق "

آتيت ورقة صفراء ، ثم نزلت السلام حتى نهايتها فلمحني شخص
أعرفه ، أنه يدعى سمير وهو أحد الأصدقاء في الماضي وهو بمثابة أخي ،
وكان معي في المدرسة الابتدائية والإعدادية ، قبل أن أحادثه ناداني ...

- يا موزة ريحة فين
- اذيك ياسمير اخبارك
- تمام اذيك يا نهى
- تمام فينك ياعم
- موجودين انتي الي مختفية
" بعد حديث تقليدي قصير تضمن وفاة والداي وعن أسفه ورغبته
الملحة في رأيتهما خابت ألأن "

- سلام بقى لحسن أنا لسة هعدي من الناحية الثانية ومش هلحق
المترو وصاحبي اهو هناك مستنيني
- سلام
- بيوه المتروجاي اهو هلحقويعني هلحقو!

فنزل في القاع ..

- فا صرخت بفرع ... بتعمل ايه يا مجنووووووووون !!!!

" في نفس الوقت أتى المتروالذي من ناحيتي والمتروالآخر من الناحية الأخرى ، وصار هوحائراً بينهما ، فعلت أصوات الصراخ وعلت وأصبح ... لا لم يصبح ! لم يعد ... صار لا شيء !
لم أحتمل فوقعت مهاجرة الوعي ... ولم أشعر سوى بعد عدة دقائق ، فقط وجدت بفتح عيناى ورفتهما .. منظر نساء عابرون أفاقوني بعطر أحدهم فا شكرتهم بوعي أو.. بدون وعي ، ورجعت مسرعة للبيت كما أتيت ، لكن تلك المرة أحمل أزمة نفسية فوق أزمتي والدموع في عيني والخوف ، أصبح منظر الدماء يفزعني أكثر من أي شخص آخر الآن ..

فتحت باب البيت ودخلت وجلست ورائه أصرخ وأصرخ بصوت عالي مجهشة في البكاء ، فتمع حولي أخوتي مرددين " مالك .. حصل أيه ! " فقصصت ما حدث .. فصرخت الفتاتان بخوف فزادوني خوف فوق خوف وقال لي أخي :

- الله يرحمه .. تعالي قومي وضمني إليه بقلب نابض رحيم ..
يا بنتي هي دي أول مرة تحصل الناس المتهورين كثير ، ومع قلة الأمن الناس مش بتخاف على نفسها ده لوفيه عقوبة بيخافو على جيبهم أكثر ما بيخافو على روحهم !

- ايوه يا زياد بس سمير مات أنا بقيت خايفة كل الي ليا وال اعرفهم في الدنيا دي يتبخرو واحد واحد .. خليك معايا يا زياد انت ماتسبنيش او عوتسبوني
- احنا معاكي متخافيش ... وبعدين انتي مش بتقولي أن سمير

كان نفسه يشوف ماما وبابا أهو أبن المحظوظة راحلهم !

رنا :

- طب هو كده اهله هيعرفومنين !!

زياد :

- ايوه يانهى كلميهم

- أنا ماقدرش أكلهمم ... اقولهم ايه ... آآه وبعدين كان واحد

صاحبه موجود الناحية التانيه مستنيه اكيد هو قالهم ...

إني لم أعد أبالي ولم أذهب العزاء ، لم يعد واجباً في نظري ..

لا ولا شيء عاد مهم بالنسبة لي أي فتحت قلبي للخناجر الطاعنة ، قائلة

.. اطعيني واطعيني أكثر .. هاتفة أن نفسي أصبحت جوفاء .. لم يعد

داخلها سوى قلبٌ معفن من سوء الذكريات ستمر عقارب الساعة ولن

تهتم .. وستأكله عتة الأيام .. !

" الفصل الثانی "

استدعيتهم بوجه بشوش بهرح وفكاهة وكان شئ لم يحدث ! ... ، لكن ما أدركته في عيونهم أنهم تأكدوا من جنون أختهم المبكر ، .. وحتى رسمت وجه الجدية في الكلام حدثتهم عما جرى في الصباح ، وحقنتهم ببعض الوعي ..

مرت الأيام يوماً تلو يوم حتى بدأت الدراسة ، سبقوني أخوتي في الدخول ، كان الأمر صعباً لم أتخيل أن حمل منزل بكبار وصغار الأمور .. أنه على رأسي همماً يحمل في رحمه الغم ! .

obseikan.com

مضت أيام كثيرة في عناء ...

أمور حياتية سخيصة كسخافة واقعنا الذي نعيش فيه ، أصبح بيدي أموال تكفيني ولم تعد المشكلة الكبرى هي مشكلة الأموال كما كانت رهبتي في الأيام السابقة ، يأتي لي دخل شهري من " إيجار المحل " وفتحت محل أمي وبدأت أعمل فيه ، تهافت الناس لي في البداية لكن في البداية فقط .. كان لهم الحق " يطفشو " ، كنت أشعر بالغرق لمدة أسبوع ، تذمر الناس بالطبع على عدم الإلتقان في خياطة الأشياء ، فلم أستحل على نفسي فشلاً ، قد ذهبت لأحد " الكورسات " وكانت مجانية من أعمال تطوعية ، أخبرتني عنها صديقة أمي عندما رأت حالي وأنا أغرق .. ليتني أملك أي مهارة من أمي كانت يديها تحيل القناد حريرا .

أني أملك حياة وراء الواقع أنه عالمي الليلي عالمي المخفي عن عيون الواقع .. التوهم والهلاويس .. لم أعد أراها كما كنت .. لقد صرت أراها أكثر صرت أخاف أكثر .. تملكني الخوف صرت أسب وألعن في ذاك الأدرنالين ! .. الذي يملك جسدي بعنف كنت كل صباح أهوى كالمجنونة ماذا أفعل في ليالي الأسود ، لم أخبر أحد عن ذاك الأمر ، لا أريد أن يكون اسمي " المجنونة ! " ، أريد أن أعيش حياة هادئة كالشعر ، بعيداً عن الأرواح والظلال وذاك الرعب .. !

في أحد الأيام قبل بداية العام الدراسي الجديد ..

استيقظت على دقائق الباب المفزعة ! في الساعة العاشرة صباحاً ، كانت جاري "الست الطيبة" وكانت أسمها " أم علي " .. برغم أنها لم تنجب علي ولا غير علي بس زوجها أسمه حسن ! ، " أبوعلي " وبالطبع المرأة قرينة زوجها !

- ايوه ايوه !

- افتحي يابنتي انا خالتك أم علي

- اه اتفضلي اتفضلي

" ودار حديث "

- يابنتي انتي مش سامعة الصريخ والقلق المالي الشارع

- لا والله يا خالتي انا نومي ثقيل ، خير !

- أنا جاية اقولك خلي بالك من نفسك ومن اخواتك يابنتي ،

انهاردة الفجر لقوواحد في المنطقة مقتول في شقته ، بعد ماكان مختفي من كام يوم ..

" وكالعادة ام علي قعدت ترغي حديث نسائي مالهوش ٣٠ لازمة "

لكني لم أستمع سوى لبداية الحديث الذي بث في قلبي خوفاً ورعباً ،

حتى أنني أصبحت من شدة الخوف أتلفت حولي كنت حقاً مذعورة !

، أغلقت كل النوافذ وأغلقت الباب بالمفتاح وأحكمت غلقه ، وبدأت

أتأمل منزلنا باحثة في شغف عن أسلحة بدائية " طاسة ، شاكوش ، مقشة

... ومش عارف ايه " وحفظت مكان كل شيء لحين ملاقة العدو!

ولكني أثناء قلقي نظرت لصورة أُمي على الحائط كطفل صغير خائف

ويحتاج لذلك الدفء والحنين التائه ، كيف للطفل أن يعيش بدون

أمه.. أنا طفلة مهما كبرتُ يا أُمي .. ذهبتني فأصبحت طفلة ترعى

أطفالاً.. وحدثتها في صورتها مهجورة الروح قائلة ..

سبتيني ليه ومشيتي ، انتي ماتعرفيش الي جوالي ، انا معودتش بنتك العاقلة الي بنتباهي بيها قدام الناس انا كنت كده بيكي انا من غيرك ولا حاجة ..

بدأت دموعي تنهار كسيل يجري ، إنه لكلام مقتضب لترجمة ما يسري في أعماقي .. ، بدأ جسدي يشتعل حرارة من ألم البكاء وبدأت أصرخ وأشد شعري بجنون وأكسر ما حولي مرددة سبتيني ليه يا أمي ، وكأن لا أحد في ذاك العالم فقد أمه غيري انه شعور لا يوصف تعجز فيه الكلمات بما تحمله من ألم .. واستيقظوا أخواتي بفزع فبدأت الفتيات بالصراخ خائفين ، فجاء زياد محاول تهدئتي ببعض العنف فأمسكني من ذراعي ، وكان زياد طويلاً ، فوضع ذقنه على رأسي ويداه تضميني ، لم أكن بحالة طبيعية أبداً حاولت أن أفلت من يده المحكمة فضربته برأسي حتى رجع للخلف ، وكان على شفتاه أثر دم فوضع يده عليها ونظر ألي بعين ملومة ، لا أعلم هل قد ذكرت من قبل خوفي من الدم ، برغم عشقي للون الأحمر سابقاً ويظهر ذلك في ثيابي في أيامي الماضية ، بدأت أتففس متسارعة " رجوع من حالة ألاوعي " ، فامدت يدي نحوه وكان جسدي بعيداً عنه شبرين أو أكثر ووضعت إصبعي على شفتاه ومسحت بعض الدم ومسحته في ووجهي وأكملت الصراخ ! ..

وكان ذلك ليس له تفسير ! انا نفسي لا أدري .. ، اتجهت نحوه لأضمه شاعرة بالذنب ، ولكنه دفعني وقال

- انتي بتعملي كده ليه ! انتي مبقتيش طبيعية " كان بجانبه كوباً من الماء فأخذه مسرعاً ورماه في وجهي " .. ده عشان تفوقي ... !

تركني ودخل إلي غرفته ، جلست رنا وروان بجانبني تواسياني بعون بريئة تائهة في عالم لا يدركون ولا يفقهون فيه شيئاً ، أغلقت عيوني خاشية البكاء ، ووضعت يداي على كتفيهما كنوع من الامتنان ، ثم تركتهم ودخلت الحمام ..

بدأت أسجى وهذأت أمواجي غريبة الأطوار ، مسحت دموعي ومسحت وجهي ببعض المياه ، وجلست على حافة " البانيو" وفككت شعري من قيوده ، فانسدل حتى أخر ظهري ، رؤية شعري الجميل كانت تنسيني أحزاني .. ولكنني نظرت إلي مرآة الباب فوجدته تائه الحيوية ونهايته تالفاً ، كزهرة أصابتها الشيخوخة المبكرة في يافعة الشباب .. وحدهن الفتيات يعلمن كم من القاتل أن ترى عيونهن شعرهن وهوموت من أثر حزناً عميق والعيون مقيدة لا تدري ماذا تفعل فيولد في لحظة حزناً جديد ، أتيتُ مقصاً وانحنيت بظهري للأمام ، فانسدل شعري معي .. وفوراً .. كان في الأرض ساقطاً .. كالجثة السوداء .. شعرتُ بالسدم والندم ولكن لا بيدي حيلة وشعرت بوجع في قلبي لوهلة ، ولكن شكلي الفريد أنساني بمجرد النظر بعدها في المرأة ، كنت أعتقد أنه لمن التميز والفتنة أن يكون شعري طويلاً ، ولكن الشعر القصير رائع ومبهج .. نسيت ما حدث في الصباح ، يجب أن يكون لدي أمر حاسم وأن أجمع أخواتي لنضمن السلامة !
استدعيتهم بوجه بشوش بهرح وفكاهة وكأن شيء لم يحدث ! ... ، لكن

ما أدركته في عيونهم أنهم تأكدوا من جنون أختهم المبكر ، .. وحتى رسمت وجه الجدية في الكلام حدثتهم عما جرى في الصباح ، وحققتهم ببعض الوعي ..

مرت الأيام يوماً تلو يوم حتى بدأت الدراسة ، سبقوني أخوتي في الدخول ، كان الأمر صعباً لم أتخيل أن حمل منزل بكبار وصغار الأمور .. أنه على رأسي همماً يحمل في رحمه الغم ! .

وبعد يومين ..

كان أخوتي في المدرسة ، وكنت أنا كطائر يفرد جناحيه يطير ويطير دون حراك وكالسّمك يبحر ويبحر دون عراك ، نائم جسدي وعقلي مشرد في أحلام تدمج الواقع بنكهة الخيال ، كان جميلاً في البداية ، ولكن هلاويس نومي لاحقتني ، فتحت عيناى بارتباك الواقع ، كان جسدي ثقيلاً الي أبعد حد ، حاولت رفع يداى وضع النهوض ولكنهما باتا ثقيلتان بشكل غريب .. وبعض دقائق زال ما كان ، أني أتذكر قولي في أصداء داخلي " استغفر الله العظيم " .. قلتها على سبيل الغضب ، وشعرت تحت قدمي عند تحريكها فجأة لمسة من برودة ، برودة كا برودة معدن .. فسحبتهابفزع !

مددت يدي أتحسس عن ذاك الشيء .. فا شددت الشيء بسرعة فجرحت يدي وكان سكيناً حاداً ، ورميت السكين عالياً حتى ارتطمت بالأرض ، استمرت يدي بقذف الدماء برغم كونه جرحاً صغيراً ، وتلاقطُ أنفاسي بسرعة ، كان نهاراً مظلم في شروق وجهي ! ، كان منظر السكين مربعاً كأنني قتلت أحدهم .. ، ظللت أبكي كطفلة خائفة ، جريت على الحمام وكلما رأيت يدي زدت صراخاً وهلعا ، فتحت صنوبر المياها

فأخذ معه دمي في رحلة إلي المجاري ! .. وعدت إلي غرفتي وربطت يدي بأيشارب صغير، وأخذت السكين المملخ بالدم ووضعت في أناء في الشرفة كان لنبات صبار مات من زمن .
بدون تفكير كنت خائفة .. ، وكأني ارتكبت جريمة بشعة .. ! ، شعرت بـ الخنقة والضيق من عالم المرايا الذي أعيش فيه .

قررت المرور على صديقاتي هيام وياسمين ، فارتديت تنوره قصيرة منفوش مزجرشة بورود الربيع بطابع وردي اللون ، وفوقها بلوزة وردية ذات أكمام ضيقة طولها ألي قبل المرفقين ، ووضعت شال أمني المنسوج من خيوط الحرير واسع الغرز .. لائم الصيف ، كلها خيرات أمني الباقية ! .. كانت ملابسي من صنع يديها الناعمتان لم تكن فحسب كما تعمل " خياطة " لقد قضت وقت كثير في الماضي لدراسة هذا المجال .

كان الوقت في تمام التاسعة والنصف وكاننا ألتوأم رنا وروان يعودان في تمام الثانية ظهراً وزياد في تمام الثالثة عصرأ . لم أقلق بشأنهم اعتادوا أن يعودون بنفسهم وكانت مدارسهم في محيط المنطقة ، وأخذت في الاحتياط .. وضعت مفاتيح الشقة مع أم علي جارتنا .. وذهبت

اتصلت بهيام وياسمين ... كان التجمع عند ياسمين ، كانت هيام ساكنة مع والدتها في فيلا صغيرة في وسط البلد لكن كان والداها منفصل مع والدتها من زمن ، كانت العلاقات بين الأسترتين أشبه بصداقة قوية حتى بينها وبين أخواتها غير الأشقاء وكانت جالسة مع أبيها يومين في نفس الحي التي تسكن فيه ياسمين .

قبل ركوبي الأسان سير رأيت الباش مهندس رامي " اخوياسمين " وكان من الواضح أنه في طريقه لعمله بزيه الرسمي فانظر ألي بعيونه الساحرة

الخضراء التي طالما كرهتها بدون سبب ! ، كان متيماً بي ولكنني لم أشعر
أبدأ تجاهه بأي خفقات قلب ، أبتسم لي أبتسامة عذبة لم يستطع فيها
أن يداري فرح قلبه فإنه لم يراني منذ مدة .. وقال ..

- نهى ! ... أخبارك

- تمام .. !

- اه ممم انتي رايحة عند ياسمين صح

- آه آه امال يعني رايحة فين غير كده هنا يعني؟! .. فاحمر وجه

وكان شخصاً خجول

- انا آسف .. " واستدار ليذهب "

- " فناديته " استاذ رامي .. انا بهظر انت زعلت ! " فضحك ثم

نظر الي عيني ثم الي الأرض وقال "

- لاء .. عن أذنك

طالما شعرت بوقاحتي وعدم اللباقة في الكلام ، نعم أردت أن أصدّه لكي
لا يتحدث معي عن مشاعره ، مازلت متذكّرة عندما أباح عن مشاعره
لي السنة قبل الماضية بعد آخر يوم امتحاناتي ، لم أفكر في حبه قط ! ، انه
أكبر مني كثيراً ، برغم علمي أنها ملحوظة من سيكون لها .. ولا أتمنى
أن أكون أبداً مكانها ..

رننت الجرس ، فاستقبلتني نرجس أخت ياسمين الصغرى سلمت علي
بحرارة هيا وأمها ، كانوا يعاملوني بحب زائدات لي مفضوح ! .. أمعقول
أن رامي يريدني لتلك الدرجة !

جلسنا في غرفة ياسمين وتحدثنا في أمور عدة منها على رامي وحكاوي
ياسمين عنه ومدى حبه وتمسكه الشديد لي ! ، وعن الشخص الذي
وجد مقتولاً في حيننا وعن هيام وأبن عمها الذي تقدم لخطبتها وأمور

كثيرة أخرى ، أصرت أم ياسمين على أن تتناول الغداء معهم وانتظار رامي وأنه ليس بالعمل أنه بمشوار قصير وقادم على عكس ما اعتقدت ، ولكنني تحججت بأخوتي وأصررت على الذهاب ، وذهبت معي هيام وممشينا قليلاً ..

كانت اقرب الناس لي وأحبهم لقلبي وأخبرتها بعدم حبي لرامي وخوفي من أخباره أو إخبار ياسمين وقالت لي عن ابن عمها وعدم حبها له أيضا ولكنها صددته من الوهلة الأولى وأنها ألان على أقدام بداية الدراسة ، وعن عدم أرادتها في الارتباط بأحد ألان ، فأخبرتها أنني لا أريد الارتباط برامي ليس لهذا السبب فقط ! ..

أنا لن أتزوج ابداً أنا أحمل حملاً ثقيلاً ، حياتي لا تتحمل أكثر من ذلك ! ، دمعت عيناى بعض الشيء .. وأخبرتها فيما أعاني وعن هلاويسي وخوفي الشديد من ألا شيء ! فأخذتني هيام إلى بيت أبيها وجلست معها في غرفتها كان أباه غير موجود ولم يكن سوى زوجة أبيها وكانت امرأة طيبة وأخيها نادر الغير شقيق وكان في الثالثة والعشرين من عمره ، وكان يعتبرني كأخته دائماً حتى أنه حين كان يتضايق كان يتصل بي ويشكوكطفل صغير من همومه ! ومن خطيبته التي غارق في بحر الهموم معها ، وعندما كنا في الغرفة أنا وهيام فقط قالت لي

- يانهى أنا ممكن اقول لبابا " كان والدها طبيب نفسي " وهو أكيد هيفيدك

- لا لا لا .. لا ياهيام .. ارجوكي هتخليني أندم اني حكنتك حاجة
- يابنتي وهوانا هفضحك أنا هقولوعلى خوفك الشديد من كل

حاجة

- لا ياهيام ماتحكيش لحد أنا خايفة بلاش !

- خايفة من ايه ؟ " وذادت قطرات العرق على وجهي والتوتر بدون سبب !
- مفيش ياهيام خلاص بقى أنا مش مجنونة قدامك .. فقاطعني صوت دقات باب الغرفة

" كانت زوجة أبيها ومعها أكواب العصير "

- أذيكوعاملين ايه - الحمد لله تمام
- متعبة نفسك ليه ياطنط أنا ماشية خلاص " فانظرت للساعة فوجدتها الثاية ظهراً " اوه أتأخرت !
- وبعد حديث قصير ... كانت النهاية أن أخيها نادر سيوصلني بسيارته

" في السيارة "

- وقطع لحظات الصمت صوت نادر وكان يبدو مهموماً ..
- شفتي يا نهى انا وفريدة متخافين .. ما بنكلمش بعض ! "
 - خطيبته "
 - وايه الجديد ! .. ما أنت على طول بتضايقها ..
 - كده يا نهى .. طلعت انا الغلطان
 - ياعم وهوانا غلطتك !
 - وكان مرتدياً نظارته للشمس لم أرى عيونه لأقرأ حالته ولكنه أدار وجهه بالفتة غاضبة ..
 - " أنا بصوت ممزوج بضحكة ساخرة "
 - في ايه يا نادر .. هوانت حكيت اصلاً أحكي
 - مافيش ياستي .. شافتنى بكلم بنت في النادي مش أكثر
 - مش أكثر ! .. ومين البنت دي ؟
 - دي واحدة كانت زملتي في الكلية وعرفت انها اتجوزت كمان!
 - لا اتجوزت ولا اطلقت أنت غلطان .. وكانت فين خطيبتك
- ساعتها
- كانت بتكلم واحدة صحبتها في النادي ... ولما جت شافتنى من غير ماتفهم أتعصبت وخلت شكلي وحش جداً ومش قادر أنسى أنها
 - خلّت شكلي وحش قد أيه
 - " ضحكّت ضحكة غير ملائمة لا تنص صلة لفتاة ذات أخلاق ، حتى أنه ضل ينظر لي بغرابة وأوقف السيارة ! ، وبدأت في الضحك بطريقة

هستيرية ومن ثم بدأت في الغناء وكأني واقفة في مغنى ! ، حتى أني
سرحت بخيالي بعيداً أشد البعد عن نادر ، ظنني في البداية مجرد مزاح
وليس ألا .. حاول أن يقطعني نادر
- صوتك جميل جداً !! ... بس انتي مش شايقة إن كلامي
والموضوع مش مناسب لكده ؟ .. وأن تصرفاتك غريبة ؟

" ولكن كنت أغني ولم أهتم " فقال .. بصوت عال وهو يدير
السيارة"

- نهى ! ... فيه أيه ؟!!

" كان مقترباً من بيتي كثيراً حتى أنه ظل صامتاً حتى وصل من شدة
الضيقة والإحراج معاً "

فقلت له .. نادر .. وبعيون بريئة ...

ووضعت يدي نحو ذراعه ورقبته في وضع غير ملائم لفتاة تعرف
الأصول... ومن ثم كُف يدي على خده .. لو كنت مكانه لا توقع
بوقوع نفسي ضحية حب لقلبه ولكن ذاك التخيل لم يستمر ...

فما أن ظلت يدي تلمس خده بضع ثواني .. إلي أن ضربته بكف يدي
على خده ! " قلم محترم .. " فامسك ذراعي ودفعهما عنه وكان في حالة
صدمة لما يحدث .. طالما أتسمت بالرزانة فكان ذاك جنونياً ... فتحت
باب سيارته وظللت أضحك ..

فاذهب بالسيارة مسرعاً من حيث جاء وأمسك هاتفه وأتصل بهيـام

- الحقني يا هيـام صاحبتك أتجنت !!

- أتأخرت ليه يا نادر مكانش مشوار ..

- أنا مش بهظر باقولك صاحبتك أتجنت .. أنتي شربتيها حاجة

كده ولا كده ولا أيه !!

- أيه إلي بتقولوما تحترم نفسك ... ما أسمحكش تتكلم عن
صحبتى بالطريقة دي

فحكى لها ما حدث .. فطلت صامته حتى قال أنه سيغلق ويكملان
الحديث عندما يعود ..

وعلى الجانب الآخر سعدت للسلم بغرابة ومع الاستمرار في الغناء
، حتى أن كل من كان صاعداً نازلاً نظر لي بشذوذ و أعجاب و غرابة ؟ ،
كان الإعجاب لأن صوتي كان جميلاً .. أما الباقي فقد كان يبين علي عدم
الوعي والتصرف الغير متزن .. كأني سكرانة .. وما أن وصلت .. رننت
الباب فلم يفتح أحد وفتحت حقيبتى ونظرت للهاتف عن الساعة ...
كان الثالثة ... وبدأت أفوق تدريجياً .. حتى أن أدركت الموقف وتذكرت
ما حدث وبدأت أهلع من تصرفاتي ومن كل شيء .. فرننت جرس على أم
علي فلن يرد أحد فجريت على السلم متجهة لمدرسة رنا وروان وكانت
بعد شارعين ... وما أن وصلت بعد أقل من دقيقة بسرعة مجنونة ،
وجدتهما تلعبان في الشارع مع صديقتيهما .. بجوار المدرسة بعد أن
ذهب الجميع ، أيقنت أن صديقتيهما ورائهما أبٌ وأمٌ مهملين مثلي
تماماً .. فابدأت " بالزعيق بصوت عالي "

- أيه الي أخركو؟ ... قاعدين كل ده في الشارع ليه !! ردو!

- أصل أحنانا...

- أسكتوخالص مش عايزة أسمع صوتكو! " ووجهت الحديث

لصديقتيهما " وأنتوكمان ايه الي مقعدكولغاية دلوقتي أنتوكمان على بيتكو!

وما أن وصلنا عند باب الشقة حتى تذكرت أمر المفاتيح ... فدققت باب أم علي فلم يرد أحد ! .. فقالت أحدهم وهم حاولوا أن يشرحوا الأمر ولكن كنت أنا الدكتاتورية في كل شيء ..

- يا نهى ..
- اسكتي خالص !
- يانهى أم علي مش موجودة أصلاً
- مش موجودة ... راحت فين يعني ؟
- مسافرة ..
- مسافرة !! أنتي هاتسطعطيني يابت ولا أيه أنا لسة

مدياها المفاتيح الصبح !
- لا والله بجد .. أحنا رجعنا في معادنا الطبيعي بس خبطنا الباب كتير محدش فتح فا طنط الي فوقينا قالتلنا أنها مسافرة من يومين !

" فوضعت يدي على رأسي إرهاقا من الدهشة .. وجلست على أحد السلام و رميت حقيبة يدي الكبيرة على الأرض .. فا رن رنين بداخلها .. فأتيته مرة أخرى .. وبحثت عن أثر الصوت وأفرغت كل محتواها حتى وجدتتها ! .. المفاتيح طبعاً !

فقال رنا ببعض الشماتة ... انتي مش قولتي أنك أدتيها لطنط أم علي!.. فردت روان ... الي هيا سافرت !

لكني لم أعلق عليهم .. كنت مشغولة بفتح الباب ، وفي ذات الوقت الذي فتح فيه الباب كان زياد صاعداً السلم .. ودخل ببرود أعصابه المعتاد

وبعد أقل من ربع ساعة .. " غير هدومه .. خد الشاور .. سببب شعره.. رش البرفيوم بتاعه ... "

كنت أنا أقوم بتحضير الغداء .. ولم أنجز سوى تقطيع بعض الطماطم .. ليس لبطني وحسب .. ولكن كان ذهني شاردًا فيما فعلته ذاك الجنون.. أتذكر أنني قلت قبل ذلك أنني أتهاوى على أعتاب شعرة بيضاء أن قطعت لبسني الجنون .. هنيئاً مرات ومرات.. قطعت !

كدت أبكي من شدة الإحراج ولا أعلم كيف سأنظر لنادر مرة أخرى .. وكيف سأبرر ما حدث على الأقل لهيام ! .. أنه لأمر جنوني قتل فيه عقلي وغاب ! .. وقطع تلك الضوضاء التي تسري بأعماق أعماقي وهدوئي الواضح والظاهر .. زياد ...

وكانت " غزالتة " رايقة ... وصرخ من ورائي صرخة عالية " اعصعصع "

- يخرب عقلك أنت مجنون !

- أنا بردو.. " قال ذاك وورميت عيني بعيداً عنه لعله تشمم

شيئاً " نهى .. نهى نهآآ

- أيه يابني ما طوتي صوتك وجعت نفوخي .. !!

- على فكرة أنا واقف هنا من خمس دقائق وكحيت مرتين وأنتي

حتى ما خدتيش بالك ليا حق ازعق بقى ! .. وبعدين حضرتك بتعملي

أيه باتسمي ده تقطيع .. أوعي كده ..

" كان زياد موهوباً في الطبخ وكان يشارك أمي فيه دائماً ، حتى أني كنت نادراً ما أساعدها ، على الأرجح كان هوبطل المهمة ، بعض الصبيان والشباب يظنونه عيباً فادحاً في حق أنفسهم على الرغم من أن كبار وأبرع الطهاة هم رجال ! .. ، أنها لفلسفة ساذجة .
ولم يمض بضع ثوان حتى كاد أن ينتهي من تقطيع كل الخضار بسرعة كبيرة .. ولكن ..

- آآه يا جامد منكم نستفييد
- لالا بصي السرعة دي .. يا جمالويا جمالو.. أوو" قد جرح أصبعه خطأً .. و" رن السكين الملوث بالدم ..

- ايه ده ؟ " بقلق وخوف ظاهر مني "
- فيه ايه .. عادي تعويره بسيطة !
وسال الدم على أصبعه ..
- لالا .. ده دم !! .. أبعد عني ..
- أيوه دم .. هوانتي معنديكيش دم ؟ .. وضحك بسخرية .. مقصدش بس يعني .. مالو؟

- اووو.. لا لا أبعد " واتجهت نحوالباب حتى دخلت إلي غرفتي وبدأت صراخاً وبكائاً حاًآآآد
- أتجه زياد " للحمام " يغسل يده في دهشة .. ونادها عليه رنا وروان -
أنت عملتلها أيه يابني ؟

- والله ماعملت حاجة ! .. أنا ماعرفش مالها ، كنا ف أمان الله

بنقطع شوية خضار فاعورت صباغي فا صرخت جامد أنا أفكرتها
خايفة عليا بعد الشر يعني .. راحت قالتلي دم دم أبعد عني !

- رنا ... ما يمكن أفكرت ذميلها الي مات ده !
- ..يمكن ... مالكوش دعوة بيها .. محدش يروحها وخلص..
تمام ..

- تمام .. لما نشوف آخرتها معاكو..
أكمل زياد تحضير الغداء وكان عبارة عن أطباق من المعكرون فوقها
لحم مفروم وطبق سلطة .. طبق السلطة الملعون ، الذي أثر ضجيجاً
زائفا ... !

أنهكت أنا في البكاء الغير مبرر وكأني أصبت بافويا الدم ! ... ، ظلت
أبكي حتى هدئتُ رويداً رويداً .. ، كان يصحب بكائي دائماً .. نوماً هادئاً
.. يصحبه تنهيدات وحشية تقلق ذاك الهدوء ..

وصحوت من تلك الغيبوبة على ضربة " مخدة " مفزعة في وجهي ..
زياد المشاكس !

- فيهِه أيه !!
- أنا الي فيه أيه بردو.. أصحي أصحي ياختي هوانتي وراكي أيه
نايمة وتصحي تاكلي على الجاهز .. مكانش ليه لزوم للحركات القرعة
دي كنتي قولتيلي وكنت هعمل الأكل عادي .. على العموم لينا كلام بعد
الأكل

" أثناء الطعام ظل الصمت بيننا أنا وأخي .. لكن أختاي الاثنتين الثرارتين
ظلا يتبادلا الحديث مُعلقتين على أحداث يومهم الطفولية في المدرسة !

رنا وروان في غرفتهما تؤديان ما عليهم من واجبات .. أنا وزياد في الشرفة
برفقة كوبيين من الشاي ممزوجاً بهدوء أعصاب بنكهة النعناع ... بعد
لحظات من الصمت ونظرات إلي شارعنا من ارتفاع ستة أذوار .. قطع
الصمت صوت زياد في هدوء ...

- نهى ... أنتي ليه عملتي كده ؟

" أتى في بالي موقف السيارة فاركبني الارتباك .. لن أخاف من أخي
الصغير لكن ليس من الصحيح أن يتربوا على الأخلاق من شخص
يفتقدها ! "

- عملت أياه !

- لما كنا في المطبخ .. الصرخ والصرايح من غير سبب !

- آآه " أبتسامه خفيفة " .. هاقولك .. بس غنيلي الأول

- انا لالا .. صوتي وحش ... بتوهيني صح ؟

- لا لا حقيقي .. غنيلي بس ..

- أنا مابحش الأغاني نادراً مابسمع .. - غنiiiiii - طب

تسمعي أياه ؟

- أي حاجة لأم كلثوم

- مش بسمعها ... ممكن فيروز

- عشان ماما بتحبها ؟

- اها .. غني بقى

بدأ يغني لي ... ذاك الفتى يكنن في نفسه صوتاً عريق لكنه ما زال
يتهاوى على أعتاب الطفولة ، صوته جميلاً يملؤه العزوبة ، كلمات
حزينة مغموسة بالأمل المنتور على أبواب اليأس تنادي بأعلى الأصوات

المكتومة ، بإحساس كمنظرات عيون عمياء مشردة تتسندُ على عصاه
تعرج على ربيع الأيام .. تمطر عليها الأحزان بشدة في يوم شديد القيظ
حارة باردة في ذات الوقت كأعصابي ! .. هل فهم أحد شيئاً ! .. أنه
إحساسي ترجمه الحروف ولكنه لا يفهم غالباً .. لأنه كثير التعقيد .

وغنى لفيروز .. لحناً حزيناً .. ثم بدأت في الغناء معه ..

لماذا ؟ ... كما سألني هو لماذا ؟ ... لماذا المرأة هيا الأجل صوتاً ولماذا هيا
الكائن الأكثر جمالاً .. ولدنا بجمال لنكون بلسم من الله على الأرض ..
كونك فتاة أمر يدعي للبهجة فلا تنتظريها ولا تتمنيها ولا تبحتي عنها
هنا وهناك .. أنها تكمن بداخلك بأعماقك لا تبحتي بداخلك عنها فقط
أخرجيها بثقة سلطي عليها ضوء نفسك .. ثقتك بذاتك هيا شمسة
الساطعة ومصدر بهجتك ! ..

كان ذاك كلام نفسي أن الإنسان منا يسكن بداخله فلاسفة من الإغريق
يبادرون ويتسامرون مع صدى صمت أعماقنا ! ... ذاك الصدى هونحن
في الحقيقة أما ما نبادره في الكلام أكاذيب سخيفة لتتماشى مع العصر ،
فما كان جوابي عليه غير ... " خلقه ربنا ! "

- ما قولتليش وتوهيتني ليه عمليتي كده ؟

- انت مش بتنسى !!

- لا ... ليه عمليتي كده ؟

- شايف قصرية الزرع المبيت ده

- بتوهيني ؟

- لالا .. بكلم بجد
- مالها ؟ - انا مخيبة جواها حاجة بتربني وبتجيلي
- كوايبس بعمل بيها جرايم وبنكون صاحب جريمة طول الكابوس .. لكن
- لما أصحى بتربع منها ! ..
- " ضحك ضحكة مستفزة " .. اووه ياغبانة
- وضع يداه في الطين الجاف ، وبدأ يقلب فيه ويبحث ...
- مفيش حاجة !
- أوعى أوعى كده وأنت مش عارف تعمل حاجة كده
- تقليب وتقليب واتسخت الأيدي بدون فائدة .. قليل من الإحراج الذي
- سرعان ما يتبخر ..
- ضحك زياد ساخراً ضاحكاً متجهماً الي غرفته ... اشتدت غضباً وأسكبت
- تلك المزهرية القديمة ... وصرت أبحث في الغبار عن ذاك الكابوس ...
- أين ذهب ؟ .. ونظرتُ ليدي عن أثر جرح .. لا أثر لا ألم لا شيء .

اتصلتُ بهيام .. وحكت لي ماحكاهُ لها نادر ، وقالت أنها ألآن فهمت ما كنتُ أقصدهُ ، ولكن شعرتُ من كلامها رائحة استهزاء وكأني أفعلُ ذلك عن قصد كالمجنون يفعل ما يريد ! .. ولكني لم أبالي ، لم أشعر بأن على رأسي بطحة لذا لا أحسس عليها ! .

كان الغد أول يوم للكلية ... كل الفتيات في ذاك اليوم يحرصن على أناقتهن بعناية

نعم لم أدخل للنوايا ولا أعلم الخفايا .. هنا يوجد من يأتي شوقاً للعلم ومن يأتي بحثاً عن ضحايا في متاهة الحب .. عن ذاك النصف التائه منهم وكأن سيأتي " الدكتور " بدور " خاطبة " ، كلام يقال والحب في زمننا أصبح سلعة تباع وتشتري ، وصاحب الخداع هو الأهمر كـ سيدي الشرقي الذي يُكتب في روايات الحب المأسوية سفاح الخيانة ! ، لا أنوي الدخول في تلك المتاهات فأنا العانس مستقبلاً ، أخاف على أوتار قلبي أن تنقطع وشرايين دموعي الشاردة أن تقطع ولا تحتويني ..

نام أخوتي ولكن النوم لم يشتريني .. لست خائفة من هلوستي بقدر خوفي من الغد أحساس شوق مليئاً بالرعب الممزوج بالبهجة المزيفة .. سعدت إلي الشرفة لأنظر للنجوم عسى أن تواسيني عوضاً عن أمي ...

كانت الشرفة مليئة في زاويتها بالطين الجاف الذي يشبه الرفات المنثور.. نظرت للقمر وناديت في صدى أنفاس نفسي همزج دموع حارة شريفة تائهة خائفة .. يا أمي أتسمعين .. أنه ذاك اليوم العظيم أنها اللحظة المنشودة عبر تلك السنين بدون تشجيعك لما كنت وصلت ، أني في غابة الظلمات أسير أسيرة فيها ، أمي أنه اليوم المنشود .. بدونك ! ، آهات على آهات قلبي ، جروح فوق جروح وخناجر طاعنة .. أحتاج كلامك حديثني اشتقت للحديث بيننا ، اشتقت لضحكاتك المنثورة ، اشتقت لزجرك لغضبك ... اشتقت لكل شيء ، أمي أنها اللحظة .. من يدعي لي بالتوفيق دعواتك وقود نجاحي من دونها أضيع ، أمي هنا تسامرنا هنا ضحكنا .. وهنا طبعتي على خدي قبلة الوداع .. لو كنت أعلم لما غسلت وجهي خوف فقدان ما تبقى منها ، آآه اشتقت لكي .. ماذا أفعل يا

أمي أخبريني من ثغرات فمك أمطريني بكلامك العذب المعسول مذاقه
سكري يا قطعة السكر ، يا وطني الذي يسكنني ولا أسكن فيه .. أعوم في
أباره وأغرق في حواريه .. أتذكرُ فأنسى همي وأسبح في ملاهيه .. أمي
يا أنشودة الصباح يا ترانيم المساء ، أمي تعبت .. تعبت جنت بهوس
حبك القريب للقلب بعيد عن العيون .. فمتى يكون اللقاء .. مل قلبي
من وجع الاشتياق ..

" الفستان الأسود .. "

سأرتدي يا أمي ما خيطته يديك لأرتديه .. أعلم أنه لبس كلاسيكي عتيق
لا يتماشى مع الموضة العصرية وليس من ألوان الصيف لا كنه لون
الملكات .. لكنني ندمت على ذلك الكلام " ايه ده مش على الموضة !
" .. أتعلمين كان رداً بارداً قاسياً .. ، كان يجب أن أسقي تعبك وسهرك
بكلمة طيبة ... ندم فوق ندم ، سأرتديه يا أمي بكل فخر سأرتديه ..
إنه يشبه القرون العتيقة لملكة مبجلة آن ذاك .. وعلقته على مانيكان
الملابس الذي كان لأمي ، لتعانقه عيناى فى الصباح ..

وذهبت لسريري في يأس وندم .. وكانت آخر كلامي هيا ملخص أحلامي ..
أمنى رؤيتك يا أمي ..

وفي نوم مقلق طيلة الليل .. غفوت عيناى ساعات قليلة حتى قبل
السادسة صباحا .. دخلت أشعة الشمس من الشرفة مسرعة متشاجرة
مع بعضها البعض من يوقظني أولاً !
من دوخة النوم إلي اليقظة كانت عيناى ترقص نوماً في شغف ولا تود

أن تستيقظ .. بدت الصورة مهزوزة حتى وضحت .. كان شيئاً غريباً ..
كانت أمي نائمة بجاني كالملاك على السرير .. أبتسمت وأغمضت
عيني مازالت غيبوبة النوم طاغية .. فاغمضت عيناى رفتين وفتحتها
في شغف وفرح .. ومددت يداى لأضمها بقوة .. ولا كن كأني أدعب
الهواآآآء ...

قفظتُ من سريري أبحث عنها هنا وهناك في كل الأركان كالمجنونة
أهوي .. وأنادى بأعلى صوتاً .. يا أمي !
والدموع خالطت وجهي ندماً على رفة العيون التي لم تشبعتني من
رأياها وجلست على ركبتي أرضاً .. مجهشة في البكاء صارخة في نفسي
كلمات غير مفهومة ومرددة ... أرجوكي يا أمي تعالي أرجوكي وحشتيني
عشاني تعالي أرجوكي ..

ودموع فوق دموع ممزوجة باليأس في غمرة شبابي اليتيم هذا .. ولكني
سمعت " منبه الهاتف يوقظني من غفوة الأحزان "
وبدأت أصطاد أنفاسي الضائعة من العالم الآخر .. وذهبت للحمام
كعادات الصباح .. ثم اتجهت لغرفتيهما .. غرفة واحدة ولكن يفصلها
ستار ، ذهبت لنصف زياد فا همست في أذنه همسة صغيرة فانهض
ويداه على عينيهِ توقظهما بقسوة وتتويبة كهم أسد مفترس .. لم يكن
يتعبنى ، ثم ذهبت للضفة الأخرى من الستار .. وأمسكت بمخدة كبيرة
على رأس رنا وروان ، بلا فائدة فكلاهما كسول .. ونظرت لسريري فكان
يملاه الملابس والفوضى ، ولكن لامس لقلبي الحنين لأيام فيها نفحاتُ
صباح عطرة بصوت أمي ووجه أمي ودفء حضن أمي .. وحنان أبي ..
وقبله الصباح لكل منهم ، النوم في سرير أمي وأبي .. شيئاً يدعي للتذكر
والحنين ولكنه لا يعوضُ الذكريات المغتالة ، كل حزن يبددهُ النسيان

،مرت الحياة ولم تتوقف !
وذهبتُ للمدرسة .. وظللت أنا أُنجهزُ .. لليوم الأول من الجامعة في كلية
الطب ، حلمتُ بذاك اليوم المنشود طويلاً .. حلمت به وردياً كحمره
الخدود الغارقة في الحب هلاويس يقظة ! ،

أن ما محاً قليلاً من يأس وعجزة هذا اليوم .. وجه أمي المشرق ، الذي
رأيته من هلاويس النوم ..

ونظرت لمرآة الغرفة المحاطة بإطار خشبي بنكهة القصور .. ، فوضعت
أصابعي عليه تحسباً أنه ذات يوماً حاكاه الزمن بيد أبي الصانعة ! ..
وارتديت الفستان الأسود الكلاسيكي ذواللابسة الأولى .. كان بتفصيلا
كلاسيكية تقليدية ذوأكمام ضيقة من الدانتيل الأسود .. وسرحت شعري
بمشطي الخشبي .. كان طول شعري بالكاد يلامس بداية عروق رقبتى..،
وكحلت عيوني ببعض من السحر وسرحت رموشي بطلائها الأسود
بانسجام مع فستاني ، وأخيراً وصلت تنازلياً لشفاقي ففجرتها ببعض من
أكليل جمال الشفاه .. أحمر الشفاه ! .. ولم أشعر وكأني ذاهبة للجامعة
أبداً ! ، وكأني ذاهبة لحفلة تتويج ، أولحفلة كلاسيكي على الطراز الرفيع!
، وكنت فخورة لذلك ... ، وارتديت بالرينا ناعمة سوداء ..

وبعد دقائق جائت هيام لكي نذهب سوياً ، كانت هيام في كلية الطب
معي " في جامعة عين شمس " ، بينما ياسمين كانت في كلية الهندسة
جامعة القاهرة .

مرت عليا هيا وأخيها نادر ليصلنا بسيارته .. رفضت ذلك بعزم ، ولكن
كان الإلحاح أكبر فوافقت !

شعور مريب .. كيف أنظر لعيناه يعد ما فعلته آخر مرة ؟ ، وضعت
ساقى في السيارة للجلوس معلنة التحية ..صباح الخير .. ونظرت لهيام

بابتسامة خفيفة ، جلسنا أنا وهيام في المقعد الخلفي ، كلمتني هيام
مثرثة في فرح ممزوج بحب المغامرة لتجربة الأيام الجديدة ، لم أنتبه
لكلامها كنت غارقة في احمرار وجهي وحرارة جسدي من شدة الإحراج
من وجود سيف ، ولذي لم يحدثني مطلقاً .

بعد الوصول ..

نهى صحيح أيه الي انتي لابساه ده !!
- وحش ؟ ، لا جميل جدا .. بس مش مناسب خالص ينفع
لكتب كتاب مش كلية
- على العموم هو كفاية انه عجبني !
جرحتني بالكلام دون قصد .. لوتعلم قربه من قلبي لما تفوهت بداخلها
حتى ، المشاعر زجاج رقيق حساس ، ربما لا تريد كسره .. فلا تلوثه
ببصماتك .. ليت الناس تفهم ..

مضى اليوم الأول بضوائه المميته ، كادت رأسي تتفجر ألماً فاشترت "
وجبات سريعة " للغداء ، سيكون صعباً بما أحمله من تعب تحت حرارة
شمسنا الحارقة أن أتحمل حرارة المطبخ والوقوف ويموت أخوتي جوعاً
ألم الانتظار ، لأبد من حلول .

بعد الغداء .. وقفنا رنا وروان في وجه غامض بنظرة صامته لا تحمل

خوف أبدأ ، ومدوا يديهم في آن واحد بورقتين بيضاء اللون ..

" استدعاء ولي الأمر " فتحت واحداً قرأته ومزقت الآخر .. نسختي التوأم !

- مميم استدعاء ولي الأمر .. يا حالاوة عمره مكان يحصل ابدا من سنة بس ، أنتوكل يوم بتقعدوتذاكروبتضحكوعليا ولا على نفسكو! ، على العموم أنا هاجي معاكم بكره الصبح وهشوف فيه أيه ! .

* * *

أنها لـ "كاريزما" مزيفة ، ولي الأمر ! .. حتى لا يليق بي أوهمراهقة في الثامنة عشر ! ، كان اليوم شاقاً وأخذت حمام شمس محترم ، لا أستطيع الصمود على هذا الحال سبع سنين متواصلة ! .. صعب جداً ، طبعاً لم يعجبني أجواء الجامعة أعلم أنها الوهلة الأولى والانسجام ليس سهلاً بالنسبة لي .. ولكن ما زلت على أعتاب البداية لم أغوص في القاع .. لكن يجب أن أصمد من أجل أن يرفني العلم كما يقولون العلم مال المعدمين .. أمثالي .. العلم نظرية غريبة فعلاً أبحرفيه بعمق .. وكلما زدت عمقاً زدت علواً ومكانة حتى تلامس عنان السماء .. ! ، لهذا السبب سأصبر لأصنع المجد الخاص بي .

في الصباح ارتديت أحد ملابسني بالون الأبيض السكري .. لا داعي للوصف الدقيق فالتشابه في ملابسني أصبح واضحاً كلاسيكياً يشبه بعضه ! .

لم يرن المنبه وكنت نائمة في نوم عميق وهممت أشد الغطاء لأكمل
المسيرة في العسل .. فالمحت عقارب الساعة صانعة " ايموشن d: " ..
وكأنها قاصدة استفزازي وأخراجي من عالم الأحلام والحرية بدون قيود
أرض الواقع ... يكون النوم في الدراسة جذاب من نوعاً خاص ! .
أيقظت أحوتي ارتديت ملابس وأعددت فطورا ...
وفي مدرسة رنا وروان :

- حضرتك رنا واران مهملين جداً مش بيذاكروبيعملواواجب
بأهمال ، جايين واليونيوفرم بتاعهم مش مكوي ومش متهندمين زي
باقي الطلبة كأنهم كانوايلعبوفي الشارع !
" لست من النوع الدقيق ولا أهتم بالتفاصيل ، أوربما في تلك الأمور
لا اهتم سوى بنفسي ، فنظرت لملابسهم وكان صدقاً ما قيل فشعرتُ
بالإحراج .. ولكن قلبت القضية ..

- اها .. ممكن يكون الإهمال باين على شكلهم وأنا مقصرة ، بس
حضرتك كمان مقصرة

- أفندم !

- أيوه .. ممكن تقولي لي ليه البنات مش مهتمين بدراستهم

- حضرتك أسألي نفسك .. أكيد مش بيزاكرو!

- والحل ؟

- ياخدومجموعة في المدرسة مثلاً

- مثلاً ! آآه ، مدخلاهم مدرسة خاصة عشان مجموعة وهما

فرابعة ابتدائي

- خلاص لوحضرتك شايفاه الفكرة واحدة عشان فصل ممكن
أديهم درس خصوصي

- طب قدام حضرتك عارفاه أنك مقصرة في حصص المدرسة
وعايزة تخليهم ياخدودروس ما تتقي ربنا في شغلك وتحللي فلوسك
وتشرحي بضمير ..

- أنفاسها كانت على مرمى السمع وبدأت تتراجع غضباً وقبل التكلم
قاطعت أول الحروف ..

- حضرتك أنا مش مامتهم لوخدتي بالك ياغني شكلي مايديش ..
، أنا أختهم وهما والدتهم ووالدهم أتوفو الأجازة الي فاتت ، وأنا عندي
جامعة ومش عندي وقت لكل تفاصيل البيت ، هما اصلاً شاطرين جداً
، أنا بعتذر لأنفعالي ... عن أذنك

" برغم ماقلته في البداية .. إلي أنها تأثرت لكلامي واعتذرت لعد فهم
الظروف "

" في الجامعة "

رأيت هيام وكانت واقفة مع مجهولة ، فنظرت لها ومشيت ولم أبالي
فنادتني ، وعرفتني على صاديقتها الجديدة ،

- اقدملك صاحبتى الجديدة ريناد
ريناد : أهلاً ... فقاطعتها طب عن أذنك ياهيام

كان محرراً لتلك الغربية فاطمت من هيام الأنصراف بحجة ما ..
ولحقت هيام بي
- فيه أيه يابنتى ! أيه الأسلوب ده ..
- انتى مش لقيتى البديل جايلى ليه !
- بديل ! نهى أنتى بتهزري صح ..
- لاء .. عن أذنك

لم أستطيع تكلمة اليوم .. فرجعت للمنزل مبكراً ، الأسبوع الأول غير
مهم ،
فقررت أعطاء نفسى أجازة !

" فى المنزل "

شقة مظلمة فوضاوية غير مجدد فيها الهواء ، هجرتها اللمسات
الأنثوية منذ مدة ، أمى .. كانت تجعل تلك الشقة القديمة البلهاء سرايا
عابدين .. لكنى لست من يكمل المسيرة .. لقد تعبت تعباً من حياتى

، فكرت لوأغير كليتي .. وأدخل حقوق أوتجارة ، ولكن مستقبل طب
أفضل ، كيف أدرسُ منهجاً ثقيلاً وحملُ منزل لمدة سبع سنوات ... أمرٌ
مريب !

قطع صوت ضجيج نفسي صوت الهاتف كان خالي ... خالي هل أملك
أحوال ! ياه أملك .. ظننتني مقطوعة من شجرة ، تباً لأسرتي بأكملها
أيتام في أحد فلذاتها ولا تعرف !

- الو..
- الوايوه يانهلة
- أنا نهى .. أذيك يا نونوعاملة أيه
- تمام الحمد لله .. في حاجة لا قدر الله
- أيه يابنتي لا لاقدر الله .. أديني نهلة أمك أسلم عليها بعدين
أبوكي عايزة في حاجة مهمة
- بابا وماما راحولرحمة ربنا من حوالي كام شهر.. ثم قلت لنفسي
في سخرية .. كام يابت يانهى .. آه من حوالي أربع شهور .. بس لوالناس
بيسئلوكانوا .. الوالو.. يا خالو ياخالو.. !
" اغلقت الهاتف ولا أدري ماذا حدث له ! "
وبعد حوالي ساعة ونصف اتصلت بي زوجة خالي وأخبرتني أشياء كثيرة
، لم أفهم شيئاً سوى أنه أغمى عليه وسيسافر لمصر بطيارة خاصة الغد
أوبعد الغد ، لم أفهم كثيراً .. هيا امرأة خليجية وخالي معه الجنسية
هناك ولديه مشاريع كبيرة وعقارات .

شيئاً ما ينقصني .. فجوة كبيرة افتقدها ، لا أعلم أين أجدها .. ! ،
فذهبت لشرفتي لعل نسمة منتصف الليل تنصفي ، فنظرت للقمر
وناديتُهُ أيها الأخرس لما لا تواسيني ، أخبرني عن فجوة حياتي كيف
امحيها ، يا قرص النور الصامت حدثني ، فنظرت له ضاحكة ، عفواً ماذا
تقول .. صمتٌ × صمت ، أنت تتكلم بلغة الصامتون .. لغة محقونة
بالجمال مشبعةً بأجمل الكلام .

أني لا أريد كلية الطب ، أشعر أنه كان قراراً خاطئاً ، ليتني عرفت من
البداية أنني لا أستطيع ... لا أود أن أكون طبيبة .. ، كان حلمياً واختفى ،
فلا تفاؤل ولا مواساة ، لم أكن أعلم أنه يكمن بداخلي ضعفٌ عظيم !!
لم أعد أخاف من الدم ولم يعد يرهمني .. ولكن فكرة أن يموت على يدي
أحدهم مريية جداً ، آآه يا أمي لو كنتي معي لكنتي خفتي عني بدلاً
من أن يواسي القمر دموع قهري ..

ثم سرحتُ بخيالي بين سحبات الخيال يخيل لي أني بين قصص قديمة
نسجها الزمن لخيالي لأرتديها هدية من لحظات من خيال تبنيها الوهم
.. ها أنا أروي حكاوي ألف ليلة وليلة وتارة أرقص مع أمير غامض
أعرفه تحت ظلال الغيمات ونظرات وسيط السكات والمطر حولنا شديد
الضجات والمطر منثور على وجهي يخبي من عيوني الدمعات وعندما
أفئق أجد نفسي وحيدة طار نسجُ الخيال في طياته أحلامي فا هيهات
أن تأتي الأحلام حقيقية وطرتُ أنا شريدة أطيّرُ بجناحي المكسور أتخبطُ
في ثبات وصارت أحلامي مبعثرة منثورة أحلامي في الشتات وأنا وحيدة
وحدي أنس وحدي السكات .

في الحقيقة أنني في عنان السماء أصبح بخيالي ، وعلقت أحلامي في
مشنقة أحلامي المعتادة لتكون عبرة لقلبي العاشق للأحلام المستحيلة
.. إنني أسمع أصداء تُثيرُ كياني .. ذكريات مُزقت ! .. وأحلام تضيع ..
، لو كنت معي يا أمي لا استمررت أحلم ! ، ولكني الآن ألامسُ القدر
المريب بأصابعي العارية ! ... خلقت لتكون عارية .. دون خطبتك
أيها الشرقي المنشود ، لتعبث على أوتار قلب طفلة تشعُ شباباً في عمر
يناهز الخمسين ! سأهمسُ في أذن العالم بأعلى الضجيج .. فقط .. أنني
العانسُ مستقبلاً !

مضت السنة الأولى ثقيلة مليئة بالحلو والمر .. بعد ما جاء لي خالي
فاجئني بأن كان يعمل معه في إحدى العقارات والمشاركات التجارية
حديثاً ، وحققت نجاحاً باهراً ! ، وهذا ما ضمن لي الراحة المالية ، عرض
خالي أن أذهب معه بألحاح ، ولكنني رفضت بشدة ، لقد عشت في تلك
البلد وتذوقت مرها وأود بشدة أن أتذوق حلوها ، أم ليس لي في المرار
ألاً النصيب ! ، رغم .. اللخبطة .. وعدم الأستقرار في فكري والتردد ألاً
أنني قررت أن أستمر في كلية الطب ، وكان قراراً حاسم .

انتهت السنة الأولى ، تغيرت في حياتي أشياء لم أتوقعها ولا كانت في
الحسبان ، صديقتي هيام لم نعد أصدقاء ! ، أمراً غريب وليس في زمننا
بغريب ، لم نفترق بسبب صديقتها بعد ذلك الموقف .. أبداً ! ، أنها ألفت
علي أصعب الاتهام .. أنني تغيرت وتحولت لغريبة الأطوار برغم أنها
الوحيدة التي يجب أن تقدر ضغوطتي النفسية .. ولكن أحقاً أصبحتُ

كذلك ! ، ربما نعم صرْتُ غريبة ، أغار بشدة على أشيائي وممتلكاتي، قليلة الكلام ، شديدة الأبتعاد عن أرض الواقع ... لأني هناك أسبح في أرض الخيال بعيداً عن رعب وهلاويس الواقع ، أما عن صديقتي ياسمين فابعدت بيننا مسافات الحياة فلم نعد نلتقي إلا صدفة ، ومن الواضح أن هيام قطعت علاقتها بها أيضاً ، حتماً ... وجدت البديل المشبع لفجوة صداقتها .. ربما فقدت هذا فينا ، لم تكن كذلك أنه لشعور مؤلم ، يشبه موت أختك الحميمة أقرب الناس لقلبك .. أتمنى لها السعادة فأن كنت لا فارق لها وجودي أوعدمه والاثنين متشابهان .. فأن الرحيل مصيري وهو حفيظ الكرامة فوق كل شيء ، لم أكن أعلم أنه سيأتي يوماً تراني فيه أختي ولا تلقي تحية السلام حتى ! ، بكاء على الإطلال .. لا يفيد أبداً أما يزيد تذكراً فإزيد سوءاً فوق سوء ، إني أمثل نفسي وهيا مثلت نفسها .. على الأقل كانت تصون العشرة بيننا من أيام الطفولة ولكنني لازلت أتذكرُ لها كل جميل بدر منها .. ، أنني في سن اليأس المبكر.. أصبحت أيامي عقيمة ، بدون كلمة أم تواسيني وحنان أب يحتويني .. ولا صديقة بنكهة الأخت تضع لأيامي مذاقاً ، أني أسبحُ عكس تيارات الحياة أتخط من هوج الأمواج الصارمة .

تبقى يومين على ظهور النتيجة لقد أبلت حسناً على كل حال ، كانت أخر همي الدراسة وكنت متميزة كعادتي ! ، بينما هيام حال بينها وبين النجاح سداً شامخاً .. هيا الجانية على مستقبلها بعد مرور أكثر من منتصف الطريق ! .. فل تتحمل عواقب قراراتها الغريبة ، أن تصادق فتاة غريبة فاعرفها على أصدقاء أغرب وتهتم بالأمور العاشقية السخيفة ويجذب أشباه الرجال حولها تحت شعار الأجراء الغير صريح أي كلما زاد ضيق البنطلون وقصر طول البلوزة مع ميك أب البليتشو

أزداتي جمال ! .. وبرغم ذلك كانت محجبة ! ، الكلام ليس عيباً أن كانت حقيقة على أرض الواقع ! ، لم أكون يوم قريبة من ديني ولست على الصراط المستقيم ولا أنقض الناس ولا أرى نفسي أطيّر بجناحين فوق قمة جبل تعيش فيه الملائكة ! .. ولكن القواعد أساس .. فلا عمارة بدون أساس .. تقع ، ولا جبل بدون أساس ، ألا السماء شامخة بلا عمد... فأنت كنت ترى نفسك سماء ففعل ما تشاء !

" في يوم النتيجة "

كان يوماً زاحماً وأتيت النتيجة بسلام .. وكنت الأولى ! ، وكنت تحت عيون الحقد طبعاً ، وكان الثاني ولداً يدعى خالد احمد عبد العزيز ، لا أعرفه على كل حال ولكن ما حفز في بداخلي معرفته ، أنه بالكاد مكروه مثلي فانحن أمة لا ندعم الناجح أبداً إنما نملأه حقداً وحسداً ، وغالباً ما يصاب الناجح بالغرور ونكون نحن من فعلنا به ذلك فلا نجني عليه ولا نلوم سوى أنفسنا .

سمعت رنين الهاتف ، وكان رقماً لا أعرفه ، لم أهتم في البداية لكن رغم إصرار المتصل رددت وكان الباش مهندس رامي " أخوياسمين " فسألته عن أختها ياسمين ونرجس وأمه فلم يبد اهتماماً سوى أنهما بخير .. وقال لي أنه لا يستطيع رؤيتي وسط الزحام .. كان هنا ! .. نعم أتى ليراني ويطمئن على نتيجتي .. لطف ذائد منه على كل حال ، تقابلنا وأصر أن نذهب إلى مكان هادئ نستجم في بشرب ما هوا بارد مراعاة للجو، وكان مكاناً رائعاً وكان هورومانسياً بطبعه لا بكلامه .. أي يجعلك ملكة من المعاملة فقط ، يسرع ليفتح لي باب السيارة ويشد لي الكرسي لأجلس

، غير كلامه الناعم المهذب .. تتمناه كل فتاة رجل بتلك المواصفات ، معروف عن رامي ثقل شخصيته وبرودة الأعصاب لكنني لم ألاحظ أيًا منها ، كان يبين عليه التوتر والإحراج ، طبعاً لأن قلبه ينبض حباً ، وددت كثيراً ليعتبرني مجرد صديقة ولكن لا أستطيع أن أصدمه ولا أعلم لما ! ربما لكي لا يأتي علياً يوماً يقال لي كما تدين تدان .. ولكن حقاً قلبي لا ينبض له أي مشاعر .. أنا لم أحب أبداً في أيامي السابقة ، برغم أن بنات الثانوية وحديثاً الإعدادية وربما الابتدائية في هذا الزمن العجيب .. أيضاً أحبوتى أصبحوا متيمين ! ، نحن في زمن لا يخلومن الحب .. والحب في عصرنا أصبح مرضاً مزمناً .. ومن لا يحب يمشي يلهث على نصف يعجبه ! .. للتسلي أو مواكبة فساد العصر ! .. إلا من نزلت عليه رُحماء ، ولكنني جرداء المشاعر قوية القلب شاردة الذهن عن الناس دائماً ، قاطع الصمت صوت رامي بإلحاح أن أرافقه في إحدى الفنادق الكبرى بالطبع لتناول الغداء سوياً .. رفضت بالطبع أنا لن أترك أخوتي يتناولون الغداء " البات " بمفردهم بينما أنا أتناول في إحدى أكبر الفنادق .. لم تجرد مشاعري لهذا الحد أوتجاه أخوتي على الأقل ، عرض علي أن يذهبوا في رعاية ياسمين في منزلهم .. فكرت في الأمر فبداً أمراً محرراً لي أخرج أنا مع الفارس المتيم وعندما أعود تلاحقني العيون المدركة أنني وقعت ضحية عيون الخضراء الساحرة ! ، كلاماً فارغ .. غير أن زياد لن يوافق أبداً ، لست أنا الفتاة ذات القلب المنسوج من الحرير .. لست أنا ولن أكون .. فرفضت بالطبع ، فعرض علي أن يرافقونا فوافقت ! ، شعرت بأنه لم يعد سعيداً كما كان ، ولكنه دارى ذلك في سبيل إسعادي ، ولا يعرف أنه لا يسعد إلا نفسه في الحقيقية ، أن شعور الذنب يقتلني أي لا أبادره أي مشاعر وأعذبه بدون فائدة ، لعلي يأتي يوماً أحبه .. هيا

حجتي الزائفة ، ولكن لا أود أن أصدمه ، أني عرفت أنه متيم بي ولم يكن بيدي خيار من البداية .. لست قاصدة جرح القلوب .. ولكن مصيره أن يُطعن في قلبه من خنجري المسنن بالكبرياء .. فاخذ وتقبل أسفي الصريح من الآن ، سيكون أخوتي مزعجون أنا أعرف وذلك هو مقصدي لو كنت مهتمة بذلك لوددت أن نكون على انفراد وهو سيعني كلام العاشقين .. ولكن صنارة أمله أن يفوز بحبي لا تنقطع .. كيف أفهمه أنني لست طعماً ! .. كيف ؟

" في البيت " .. ، اخترت لأخوتي ملابسهم بعناية ، وارتديت فستاناً كلاسيكياً أسود اللون وكان ذوشكلاً فريد ومميز اشتريته لخطوبة ابنة صديقة أُمي .. ولم أترديه ببساطه فسخت الخطبة قبل أن تتم .. فسخت من سبب أوبدون سبب .. أسباب الحماوات التافهة التي تفرق بين قلبين لا ذنب لهم ، في كل مرة أرى غيري يفسخ خطوبة أو يطلق أخاف .. هل سيأتي دوري يوماً ما ويجرح قلبي مثلهم .. لا أعلم لما أحملهم الغيبات ، لنعود لأمر الفستان .. على كل حال أنه أستايبي المعتاد ! . في الوعد المتفق .. تمام الخامسة أتى بسيارته الفخمة ، كانت تعليقات أخوتي في المنزل ساخرة فيها همز ولمز بعض الشيء ، ولكن عندما ركبنا معه لم ينطقا .. خرست ألسانهم " آل يعني بيتكسفو" .. ، وأثناء تناولنا العشاء .. كانتا رنا وروان تفحصان المكان بعينونهما البريئة الفضولية بعناية ... وذلك من فخامة الديكور والأضواء الخافتة وهيا عادة الصغار ومعظم الفتيات يأكلهم الفضول غالباً ، بينما زياد كان في صمت منتبهاً بشدة لكل كلمة تخرج .. مما أثار الحرج لرامي بشدة فكان كلامنا عن أحلامي وما حققه في عمله وكيف أصبح ناجحاً و.. الخ

، أمور حياتية عادية .. شعرت دائماً وأنه يود البوح عن شيء ولكنه لم يجد الفرصة المناسبة ، كان يوماً لطيفاً وقضينا وقتاً لا بأس به وعودنا في تمام العاشرة ، أحب أخوتي رامي ألا يزيد لم ينتقضه نقضاً صريحاً ولكن شعرت بالملقت الشديد منه تجاه رامي ، ليس لذاته وربما لأن زياد أصبح أعز أصدقائي وأقرب الناس لقلبي ، ممم غيرة .. ربما ! .. أورها لديه وجهة نظر مختلفة .

في إحدى الليالي وقفت في شرفتي وقفتي الشاردة المعتادة ، كنت أحسي كوباً من القهوة فا شعرت بهمس من فوق وكانت الشقة التي فوقنا مهجورة منذ زمن طويل ، فنظرت ولم أجد أحداً فأصابتني رعشة خفيفة كمن تعرض لصعقة ماء مثلج وبردت أناملي ، ومن ثم سمعت صوت أقدام تدب في السقف .. ومن ثم صوت أنفاس عالية .. فنظرت بسرعة ورأيت شخصاً فصرخت صرخة وكنمتها بيدي فكانت خافطة الحس ،

فقال .. أنا اسف خضيت حضرتك .. فضحكت في نفسي وقلتُ شبحاً لطيف ! .. أنه شخص لا داعي لسخافة هلوستي المعتادة .

- لا أبداً .. بس أنا كنت أعرف إن الشقة فاضيه من سنين
- آه .. ما أنا أجرتها .. أهلاً أنا تامر - أهلاً وسهلاً .. عن أذن حضرتك !

تفاديت الكلام ودخلت لغرفتي ، ربما كان شكله جذاباً لفتاة ساذجة غيري .. لكن شعرت بقلق تجاهه أن عيناه تلمعان بشدة ، تلمعان كقط في الظلام ! ، شيء ما دفعني للخروج من الشرفة ،

وسمعتُ صوت كرسياً هزاز وكان من فوق آت من الشرفة .. هوطبعاً
ثم سمعتُ صوتَ ملائكي مفعم بالإحساس دخل قلبي من الوهلة الأولى
.. صوته طبعاً .. رائع ! .. يشبه صوت العنديل .. وأردتُ بشدة لوأغني
من الغرفة عالياً ، ولكن كان محرراً جداً فعَلُ ذلك .. لستُ في كليب
ابن الجيران اليه هنا ! .. هذا الجولا يحدث سوى أمام الكاميرات أنها
أكاذيبٌ بلهاء .. ، كنتُ مرهقة هذا اليوم فخلدت للنوم دون حيرة ،
ولكن في اليوم التالي لُمتُ نفسي أي لم أغني ، لأنه ببساطة أستمر أسبوع
بدون همس في شقته ، وددت لوأتحسس عليه خبراً ولكن كيف ؟ ،
أسأل عنه سكان العمارة فيظنون سوتاً ، أم أسأل أخي ويظن لا خير
أيضاً ! ، مضى أسبوعاً آخر على ذاك الحال ، وكان الأمر يشغلني بشدة
وذات ليلة بعد منتصف الليل في نفس المعاد الذي رأيته سمعتُ نفس
الددنة في البداية حتى أصبح صوتاً عالياً ، أغلقت باب غرفتي وذهبتُ
للشرفة ، وبدأت الغناء بصوت هادئ فا سكت الصوت ونظرت لأعلى
بحذر حتى صعد لي رأس مفاجئة فزعتني .. كان تامر ! ،
- اذيك - كويسة !
- ما عرفتيش بنفسك .. نهى .. ١٨ سنة .. انا ٢٤ ..

تبادلنا الحديث عن هويتنا ، وكان شخصاً مسلياً وغريب الأطوار بعض
الشيء ، والغريب أي تكلمت معه بسهولة وأنا انطوائية ! ، ترددت كثيراً
أن أسئلة أين كان الأسبوعين الماضيين ، ولكن سألتته ! ، كان الجواب
مقنع وطبيعي .. انه يسافر باستمرار للعمل أخبرني أنه سيسافر يوم
الأحد المقبل . وفي يوم الاثنين التالي ، بين الملل في الأجازة طبعاً شيئاً
معتاد ، كان أخوتي يمارسون مرحهم بطرقهم الخاصة ، وكنت أنا أقرأ

كتاب كالعادة ، فسمعت صوت تامر يهمس ينادي .. سسس يا نهى ..
فصعدتُ مسرعة للشرفة ، ونظرت ل فوق ..
ولم يكن أحداً هناك ! ، وندهتُ عليه .. يا تامر .. عدة مرات ، ولكن
لا أحد ، أعلم أنه سافر البارحة ! ، ولكن من ينادي ، لابد أن أعرف .
انتظرت حتى غفت عيون أخوتي وسبحوا في عالم أحلامهم ، في تمام
الرابعة فجراً ، فتحت باب شقتي في هدوء وكان نور العمارة .. بايظ
.. كالمعتاد ، وأخذت هاتفي وأشعلت نوره ، أنا لست في بدائية أفلام
الربع شمعة و.. الجوارخيص دأ ..
وتركت الباب مفتوحاً فتحة صغيرة ، وأخذت معي المفاتيح على وجه
الأحتياط

أجازة الصيف والجوهادئ والجميع نائم .. أمر غريب !
في منزلنا عودتُ أمي أن ينام أخوتي مبكراً لكي لا تكرر الخطأ الذي كان
معي .. السهر .. لكن سكان العمارة لا ينامون تقريباً ضوضائهم تنبعثُ
من شققهم ليل نهار ، ربما شيء يبدو لا غرابة فيه .. ولكنني أشم في الأمر
شيئاً غريب .

صعدت سلمة سلمة في الظلام الدامس في الطابق فوقنا ، لا صوت سوى
أنفاسي وصوتاً من الخارج لصرصور الليل .. وضعت يدي على الجرس
أتحسس .. ترددت كثيراً في أن أرن ولكن تملكتم قوى نفسي الضالة
ورننتُ ، وكان الجرس لا يعمل !
والغريب أنه كان يكسوه تراب غزير وطبعاً اتسخت يدي بشدة ، فا
وضعت يداي على الباب اطرقة ، ومن وهلة الطرقة الأولى ، فتح بشدة

كأني ركلته بقوة ! ، ومع صوت الباب المزعج الذي يحتاج لبعضاً من الزيت ... بعث في جسدي رعشة قوية دخلت في بطن شديد وكانت الشقة مرتبة بعناية وكأن فيها لمسة أنثوية .. أمر غريب .. لا يليق برجل أعذب يعيش بمفرده ، ولكن ما هو أغرب كان ينبعث منها تيار هواء مائل للبرودة ، كل ذلك لم أخطى سوى عتبة الشقة ، فناديت عدة مرات ولم يكن موجوداً ، فتقدمت خطوتين .. وكان كل شيء سليم .. فتقدمت خطوة أخرى شعرتُ شعور اللصوص ولكنني لن أذهب قبل أن أشبع فضولي ، شعرتُ بأنفاس خلفي فا تصنمُ مكاني ثم استدرت وقدامي كادت لا تحملاني ..

فلم يكون هناك أحد .. فتقدمت أكثر وددتُ أن أذهب لغرفته التي هيا مكان غرفتي في قانون البناء .. ولكن سرعان ما قتل الصمت صوت عزف رقيق على البيانوُ منبعثُ من الغرفة .. فهلعتُ كلياً ، ورجعتُ للخلف فانغلق باب الشقة بقوة من فعل تيارات الهواء ، صرختُ صرخة كبيرة في هلع ووقعتُ على الأرض فاقدة الوعي .

الساعة التاسعة صباحاً :

صورة تهتز بعيني حتى وضحت وصداعُ مريب ، وأنا أنام بسلام على سريري ، فنهضت بفرع .. ، أين أنا .. ماذا حدث ! هل كان حلم .. لا أدري مستحيل أن يكون حلم .. مستحيل ! .. لقد ارتج الباب بقوة من خلفي .. كيف أنا هنا وماذا حدث .. ونظرتُ ليدي التي كانت متسخة .. كانت نظيفة تماماً ! .

جاء فضولي ولن يهدأ حتى يشبع ، انتظرت حتى الساعة الواحدة ظهراً
فا الوقتُ غير مناسب .. وثم اتجهت لجارتي أم علي " التي هيا في
الشقة التي أمامي " ، جئت لها لهدف لكن لم أشعرها بذلك ، وفي
وسط الحديث سألتها عن الشقة التي فوقي ، وعلمتُ منها أنها مهجورة
منذ زمن طويل وسافر أهلها للعمل بالخارج ، ذلك كان أمراً عادياً ،
الغريب أنها لم تسكن من أحداً حتى يومنا هذا ، ربما لا تعرف أنها لم
تُسكن لكني لم ولن أخبرها ، وحكت لي أن ربة ذلك البيت كانت امرأة
غريبة وكان يخاف منها سكان العمارة ، وراوغوا عنها الإشاعات أن لها
اتصال مع عالم الجان .. ولكن ترددت في كلامها وكأنها تكلم طفلة في
السادسة من عمرها ! وقالت .. إشاعات يا بنتي إشاعات ، وحكت لي
أنها ربما كانت غريبة لخلل ما أصابها بعد مصرع أبنها وهووا في الرابعة
والعشرين من عمره وكان وحيدها ، وكان عمله في مجال الموسيقى
كان عازفاً وكان له حنجرة من خامة نادرة راقية كان يتباهى بها دائماً ..
ولكنها منعتهُ دائماً من الكلام حتى خصوصاً مع الغرباء لخوفها عليه ..
كانت تود أن تستودعه في رحمها مرة أخرى لكي تحميه من أعين الناس
وكانها هيا الوحيدة التي أنجبت في الكرة الأرضية ! ، لم تخبر أحداً أبداً
كيف مات ، لدرجة أن الناس اتهموها بقتله .. وقالت لي واقتباساً لها ..
كلام الناس ده داهية ! .. أزي أم تقتل أبنها وهيا أصلاً كانت بتموت في
التراب الي بيمشي عليه

أمر غريب على كل حال ، سألتها عن أسمه وكانت لا تتذكر أسمه
الحركي الذي أطلقه هو على نفسه ، أن أمه كانت تخافُ عليه من كل
شيء ، حتى أنها احتفظت باسمه الحقيقي ! .. جنون ، وهنا قالت لي أم

علي عن سبب انشغالي بأمر تلك الشقة ، لم أته ته في الكلام .. أنا أذكي من ذلك ، لقد حضرتُ إجابة مسبقه ..

لا أصلواحدة صاحبتني سألتني عن شقة في المنطقة عشان أخوها هاي تجاوز ويبدوور على شقة .. في عمارات كثير جديدة يا حببتي أحسن و.. انتقل الكلام في العقارات وبدتُ كأني مهمته كما كنت ولم أكن طبعاً .

وبعد تحليل كلامها :

أن تامر في الرابعة والعشرين من عمره يتصادف مع عمر ابن تلك المرأة ، غير أن تامر دائماً يغني بصوت نادر ورائع ممم .. أصدفة ! ، وذلك الكابوس الذي لم أميزه عن الحقيقة ، كان البيانوفي شقته يعزف وحده! ، وكيف كانت شقة مرتبة وهيا مهجورة منذ أكثر من عشر سنوات .. حتماً كان كابوس وسيظل كذلك ويجب أن أنهيه قبل أن يتمادى ، ليست المرة الأولى التي أدمج الحلم بالواقع أتذكر برودة المعدن عندما جرحتُ يدي .. وكان أضغاثُ .. أحلام .. لما لا تكون أضغاثُ واقع ! .. أنا أغرقُ في دوامة جنونية ! .

الحياة العادية تمشي بشكل سليم ، حالتنا المادية أصبحت أفضل بكثير ، اشتركت لأخوتي ألعاب رياضية في النادي ، يأكلون أفضل الأشياء ، كل شيء يمشي بشكل سليم .. ألا أنا طبعاً ، لا أعلم سر تعاستي الصريح دائماً، أنا لا أتابع نشرة الهم .. الهم هومن يتابعني . مر أسبوع وجاء معاد قدوم تامر .. انتظرته وراقبت كل شيء وجعلت زهني صافياً ،

وجلست في غرفتي بجوار الشرفة طيلة اليوم ، ولكن لا صوت .. لا أحد ،
مر يوم .. يومين .. لا أحد لا صوت ولا همس ، إن فكرة أني كلمتُ شبحاً
تؤرقني تخطف السكينة من قلبي وتدس فيه سكينه الخوف والهلع ،
مر شهر ولا شيء حتى أني آمنتُ بفكرة أني كنتُ أتوهم ، ولكن لم تدم
طويلاً .. أصبح دائماً ليلاً بعد أكثر من منتصف الليل أسمع صوت لحناً
رقيقاً ، ظللت أسمعه يومياً ، ولكن أعصابي لم تعد تتحمل ، فكان في أحد
الليالي كانت رنا وروان نائمتان لكن زياد ظل يلعب الألعاب الإلكترونية
التي تتغذى على اللوقت ..المعتادة ، وظل صوت الموسيقى يرتفع شيئاً
فشيئاً ، فناديت زياد وقلبي سريع الدقات كالقطار .. ندهت عليه
ليسمع ، ولكن بمجرد ما جاء توقف كل شيء ، حتى أني لم أخبره وطلبت
منه كوب ماء !

بدأت الأيام تتوارى يوماً تلو يوم .. لم أعد أسمع الأصوات مطلقاً وأختفى
تامر ايضاً .. أمراً غريب يبشهُ الكابوس القصير ! ، ولكني لم أشبع فضولي

من الثثرة أن أحكي سنين متشابهة .. سنين الكلية متشابهة كلها اليوم
كالأمس اليوم كالأمس ، كلها أعيشُ في خوف في صدفة أيامي الصدئة
تلك ، مازال الرعب يطاردني والخوف يلاحقني مازلت أبكي من الكوابيس
كل يوم .

نعم كل سنين الكلية السبع متشابهة .. ولكن كانت السنة الأخيرة حافلة ! ، بالمناسبة سأصبح طبيبة نساء وتوليد ، كنت الأولى دائماً حتى أي أصبحت مغرورة جداً ، لا أصدقاء طبعاً ، حاول الكثير من الشبان الوصول ألي فشل الكثير وتسليت بالكثير ، حتى أي جعلت من بعضهم عروسة بخيوط أحركها كيفما شئت ، وهل شعرت بالذنب تجاههم .. لا! ، وذاك الزميل المدعو خالد احمد عبد العزيز الثاني دائماً على الدفعة أنه فتى عبقري غبي أحقق ! ، عبقري في الدراسة .. غبي لأنه يود أن يكون أفضل مني ويكون الأول .. مثير للضحك الممزوج بالشر ، أحقق .. لأنه يتباهى بعبقريته ويمثل دور المتواضع .. لا أعلم لما يمارس الأعيب الصغار ونحن في الجامعة ! .

وما جاء حديثاً أن أحد صديقات أُمي المقربات هيا نفس المرأة التي أخبرتني على كورس الخياطة وهيا نفسها التي اشترت الفستان الأسود من أجل خطوبة أبتتها ، كانت دائماً تقف بجانبني إن احتجتها كما كانت تقف بجوار أُمي .. ذريتها بنت وولد .. الفتى في عمري خريج كلية آداب.. كان يأتي لأخذ الدراسات العليا ، كان معي في الجامعة وكنت أراه ليس باستمرار ولكن ربما من حين لحين آخر .. لم يكلمني أبداً ولكنه يعرفني وأعرفه ، راق لي نظراته وعيناه الساحرتان الزرقاوتان .. لا أعلم لم يطار دني دائماً رجال بلون عيون القطط ! ، وجاء في بداية السنة الأخيرة وأباح عما خبأه في قلبه بضع سنوات ، أنه متيم بي ويود خطبتي حين الانتهاء من الدراسة ، لكنني لم أعطه جواباً صريحاً ، أي أشعر بخفقات قلبي معه .. لكن عيناه تمنعاني من شدة روعتهما ، أي أخاف .. أخاف أن لا يشبه لونهما صفاء السماء بل تشبه موجات البحر الهائجة الغارقة.. وغير أي كنت أخذت قراراً مسبقاً أي لن أتزوج أبداً ،

ولكن لم أعد أعتزم الأمر ، الفتيات من حولي تتباهى بخطيبها ورجولته ، والأخرى بما ترتدي من ذهب ، كلها مغريات لفتاة وحيدة مثلي ، أنا لا أريد ذهباً أي أريد قلباً يأخذني بأحضان من دفء تعيد لقلبي الحياة ، أريد رجلاً يجعلني ملكه ، بشرط أن نعشق بعضنا يعوضني دفء أم وحنان الأب.. أحلامي بريئة أحتاج لميناء يرسى عليه قلبي حيث الهدوء والسلام ، الأمور في حياتي متناقضة فغالباً لا أتوقع حدوث أحلامي ، الآن أمامي الباش مهندس رامي وصاحب عين المحيط مهند .. ممم كيف أختار طريق القلب أم طريق العقل ، أم أمزج الاثنين معاً وأدع الروح تختار .

وتتعالى أصوات الفتيات في الكلية عن الدكتور سيف الدين يوسف ، صاحب الجمال والرجولة وكما يقولون " الجنتله " ، الفتيات تتصارعن من منهنم توقعه في حبها ، ضحكٌ عليهن كثيراً ، أنه رجلاً بما تحمله الكلمة تتمناه كل الفتيات ، أي أستطيع أن أجعله كالخاتم في أصبعي .. وسأفعل ليرون من منا أشد كيداً !

كنت انتظره بعد نهاية اليوم ليشرح لي شيئاً ما ، تصرفت بطبيعتي ، كان الأمر أسهل مما اعتقدت برغم أن الفتيات حاولوا الكثير ليقوعوه في غرامه ، أنهم يستخدمون حيل سخيفة ، رجل أعذب ناضج مثله لا يخدع بسهولة ، في الحقيقة أي لم أكيد له كيداً كبيراً برغم أي كنت أنوي ! ولم أفعل له عملاً لكي يقع في غرامي ، لكنه أعجب بتفكيري كثيراً وبعبقريتي كما قال ، أنه أصبح هومن يناديني حتى أحياناً وددت الهروب منه .. والغريب أنه أصبح يحكي لي حياته الخاصة وبذكاوي أحلها له .. أمر مثير

للسففة ، ولكني بعد ذلك أصبحت أفعلهُ بسعادة بالغة، أخذ رقم هاتفي بحجة أن يطمئن علي في النتيجة ، وأصبح يكلمني باستمرار بعد التخرج ، وطلب أن يقابل والدي .. نعم لم أحكي له عن حياتي الخاصة أبداً .. وهنا تأتي بلاغة القرآن " أن كيدهن عظيم " لقد عرفتُ أن أجعله خاتم في أصبعي ولا يعرف عني شيئاً ، وتعاطف معي كثيراً عندما أخبرتهُ أني يتيمة ولطيمة ، وأنى أمثلُ دور أم وأب لأخوتي وأدرس .. لقد كبرتُ في نظره الأضعاف ، فكرتُ كثيراً في الموافقة على الخطبة ولكن شعرتُ أني أوقعتُ نفسي ، أني سيكون لي شئناً عظيماً معه ، وسأكون له ملكة وهذا ما حلمت به وهذا ما أريد ، ولكنه يكبرني بكثير .. أنه في الخامسة والثلاثون من عمره وأنا في الرابعة والعشرين ، ولكنني وافقتُ .. هذا قراري ويجبُ علي تحمل عقباه ! ، كل شيء تم بسرية في البداية ، ولم أخبر أحد من المعارف والأقارب والجيران ، أن سيف أستطاع أن يحصل على حب أخوتي بجدارة ، كان طيب القلب وكان يشتري الهدايا والحلوى لهم باستمرار برغم أنهم لم يعودوا صغار ألا أنه عاملهم بحنان الأب ففاز بحبهم ، في الحقيقة لا أنكر أن وجوده في حياتي أصبح أساسي ، نعم أحبته لكن بصورة مختلفة .. أنه عوضني الحنان المفقود ، نعم أريدهُ في حياتي لكن بصورة مختلفة .. ليتهُ يدرك ! ،

في سنة التخرج .. كنت الأولى طبعاً .. غير أن كل ما كان يفوتني كان يشرحه لي سيف ، لم يكن يتركني أبداً .. حبهُ لي كان لصالحني ! .

oboiikan.com

الفصل الثالث

" البيت أصبح بمثابة بيت رعب مخيف ! .. ، أنا لا أهتم بنظافته حرفياً
مثل أمي .. فخلايا العنكبوت والغبار تزين السقف رعباً وشروخ المرايا
والحوائط الممزقة كقطعة قماش مُترهلة .. تحكي لي حكاوي الزمن
المرعبة كلها ، كل شيء كل التفاصيل ترهيني "

obseikan.com

كل ما كان لم يكن شيئاً .. مازالت قصتي مع العناء لم تبدأ بعد ! ، كل تلك الأوهام .. الأحزان .. الألم .. لا لا كانت أتفه ما مررتُ به ، أنا الآن طبيبة نساء وتوليد أعمل في مستشفى ... في القطاع الخاص ، حققت نجاحاً في عملي ، وسر وصولي في العمل والنجاح فيه هيا الوساطة بالتأكيد ! ، هذا إن كنت تريد مهنة ممتازة براتب مريح ..

كانت الوساطة من خطيبي .. ولم تعد يدي عارية .. لقد توجت بخاتم ذهبي ثمين ، إني وافقتُ على الخطبة من الدكتور سيف الدين ولكن مع استمرار الخطبة لمدة سنتين بعد التخرج ، لقد أحبني بشغف وأنا لا أستحقه ، كما قلت سابقاً .. كل الفتيات حاولوا أن يظفروا به والفضل كان مصيرهم فأردت أبراز قدرتي .. لم يكن رهاناً أوتحدي مع أحد كان بيني وبين سخافتي وطيشي لا أكثر ، إن شعور الذنب يكونني ألماً ووددت كثيراً فسخ الخطبة .. ولكن أخاف من المرصاد ، عندما أراه يعامل الفتيات بطبعه الحاد وشخصيته القوية الجذابة للفتيات ، أنه برغم قسوته يعاملني كملكة يكون كقطعة الحرير بين يدي ، ولكن قلبي عديم المشاعر لا ينبض له ! ، قلبي مات ولا أدري كيف أحياه .

الآن زياد أصبح في كلية صيدلة .. لم يحالفه الحظ في طب .. غير أن سيف وعده بصيدلية باسمه !
رنا وروان .. في الصف الثالث الثانوي

لم أستطع العيش في منزلنا أكثر من ذلك ، بدأت أتهدأ أكثر من اللازم وأرى أشياء ليس لها وجود وأسمع أصوات غريبة ، وغير أن روح ذلك الجار لا تتركني أبداً في الكوابيس ، لكنني لا أراها في أرض الواقع ، أعلم

أني أن هجرتُ المنزل لن أشفى ولكن على الأقل أتوهمُ بأنافة .. البيت أصبح بمثابة بيت رعب مخيف ! .. ، أنا لا أهتم بنظافته حرفياً مثل أمي .. فخلايا العنكبوت والغبار تزين السقف رعباً وشروخ المرابا والحوائط الممزقة كقطعة قماش مُترهلة .. تحكي لي حكاوي الزمن المرعبة كلها ، كل شيء كل التفاصيل ترهيني ، انتقلتُ لشقة في نفس الحي في إحدى العمارات الجديدة وكانت أكبر بكثير كنتُ دائماً أرثدُ لشارعنا الذي كان قريباً جداً من مسكننا الجديد ، تصادقتُ أنا وأم علي جارتِي وزوجها في الفترة الأخيرة كنتُ أشعرُ معهم بدفء الأبوين الذي افتقدته من زمن ، لم أكن أخبرُ أحداً من أخوتي أين أذهب بالتحديد ، أنهم فقط يعلمون أنني أذهبُ لشقتنا القديمة .. ويعتقدون أنه حنين لها لا أكثر ! ، هم لا يدرون بأي مما يحصل بداخلي هم يعتقدون أنني غريبة فحسب ! .

تعرفتُ على فتاة في النادي وكان بيننا ما يسمى مودة ، هيا فتاة تشبهني طباعاً وليس لديها أصدقاء مثلي ، أسمها سارة ، تلاقينا باستمرار في النادي حتى ربط بيننا أطار الصداقة شيئاً فشيئاً .

سيف كان عاقلاً جداً ، نعم كان يحبني لكن ينقصه الجنون .. لا جنون الحب ! ، بل الجنون العقلائي ، أنه لا يمتازُ بجنون الشباب ، حتى أنه لم يلمسُ يدي مرة .

في أحد الليالي دعوته ليلاً للعشاء ، وارتديت فستاناً أحمر طويلاً مكشوف

اليدين ، وأشعلتُ بعض الشموع ونوراً خافتاً ونسقتُ الشقة بعناية ،
ووضعتُ العشاء وأنا وأخوتي البنات وذهب زياد لشراء بعض المشروبات
الغازية ، قمتُ من على سفرة الطعام وذهبتُ للبيانو، بالمناسبة سيف
لم يسمع صوتي في الغناء مطلقاً ولا يملك خلفية لصوتي حتى ، أني أشعرُ
بالراحة معه فوددت أن أفعل أي شيء يوقعني في خفقات قلبي من
رؤيته ، لآمست أصابعي البيانوفاستدار سيف في فضول ليرى ترنيمات
الموسيقى ، فغنيتُ أغنية.. يسمعني حين يراقصني .. قاصدة أن يمسك
يدي ويراقصني ويبنى لي قصور الوهم ويهديني قطع السنونات
ويخبرني أني تُحفته وأني أجمل ما شاهد من لوحات .. ولكني أدركتُ في
النهاية أنها مجرد كلمات !

فقام من كرسيه ووقف أمامي يحملقُ في عيني .. كان لا يحملقُ فيه
.. كاد يضمني بعينه بشدة .. فتركُ البيانو ووضعت يدي على كتفيه
وشبكتُ يدي حول عنقه من الورا .. فقبل كفوف يدي برفق وفك
تشابكهما وفر منهما ، تصرف ذكي لكي لا يهرجنني ولكنه جعلني أتضايقُ
جداً .. ولم أبدي ذلك ، كانتا الفتيات تنظرن لنا بشدة ونظرات فيها
تعجب ، تضايقتُ أكثر لأني أصبحتُ لهم قدوة طائشة قليلة التهذيب
.. كان ذلك لحظات بضع ، أتي زياد .. كان رد فعل سيف أنه اختصر
الكلام بهمسة في الأذن بأنه يحبني يحبني بشدة ، أنه لا يخبرني سوى
تلك الكلمة المستفزة لقد فهمت لقد عرفت وأدركتُ أنك تحبني كفاك
الكلام .. تضايقتُ لسطحيتي ولعمق شخصيته .. أنه لم يبدي الإعجاب
بصوتي هل هو قليل الذوق أم أنا الـ بتلكك ! .

توصلتُ لمنصب كبير في العمل مع الأيام ، أصبحتُ شخصيتين غريبتين، شخصيتي الأولى وقورة في طبيعتي الصامته والناس صاروا يخشوني بقوة لقوة شخصيتي وكأن سيف .. بهت عليا ، والثانية شخصية الفتاة الجريئة المنفتحة القوية كما لا يجبُ أن يكون ، بالإضافة للعصبية المفرطة والهلاويس والكوايس .

ذات يوم في المستشفى كان لدي حالة ولادة متعثرة .. امرأة حامل بعد سنين من الاشتياق .. كانت في حالة خطرة جداً ، كنت دكتورة تحت الأسم .. أي زي مايقولوليها شنة ورنه لأهمية الوسط الاجتماعي غير أي الأولى على الجامعة على مدار السبع سنين .. ولكن تنقصني الخبرة ..

لستُ كفى من الدرجة الأولى ولكني تلقيت تدريب مكثف وقمت بتوليد الكثيرات ، ولكن تلك المرأة كانت حقاً على أعتاب الحياة والموت، أنقذتُ صغيرها وهيا حالتها في تدهور تركت كل شيء في غرفة العمليات وذهبت كالمجنونة وأسرعْتُ أتصلُ بسيف لعل بيده شيئاً يفعلهُ .. أخبرني أنه سيأتي على عجلة السرعة ، كنت منهارة بما تحمله الكلمة ووصفتُ له حالتها فاطمأنتي .. ولكن قال في النهاية أن الأعمار بيدي الله ..

بعد حوالي ساعة أتى .. أخرهُ زحمة الطريق معتاد في بنت المعز ! ، ولا كن كان فات الأوان .. أنهرتُ كلياً ورميتُ السماعة وأزلتُ القماشة البيضاء التي لا أستحقها .. وتذكرتُ يوم وفاة أمي وأبي فا زاد الأمر سوءاً .. قمتُ بتكسير أشياء والصرأخ بشدة ، لكن سرعان ما أتى سيف وضمني له كأنهُ يهدئني ثم أعطاني حقنة مهدئة .

أخذت أجازة عن العمل مدة طويلة .. أدمنتُ المهدئات ، ما كان يخفف عني صديقتي سارة في النادي كنا نجري سوياً باستمرار .. وتحدثتُ في الكافيتريا ، حدثتها عن كل شيء في حياتي ، عن شعوري بالذنب تجاه سيف ، وعما حدث لرامي عندما عرف أنني لن أكون له .. من الواضح أنه طحتم كلياً وهويتابُعني في كل مكان باستمرار ، ومهند .. اختفى ولم يأتي لخطبتي لكن على الأرجح عرف أن الدكتور خطبني .. وهل يخفى الخبر ! ، وعن عملي في المستشفى مازال أحد الأطباء يحملني في لا بعين الإعجاب فقط .. بل بعين متيمة لكن هولاً يكلمني سوى في حدود العمل .. فهو يعلم أن في يدي خاتم يشير لقلب شخص ويعرف الشخص جيداً ! ولكن إصراره على متابعة خطواتي أمراً غريب .. الناس أصبحت غريبة ولديها إصرار في أمور لا تملكها .. أن كان يريدني أن أترك سيف مثلاً لأجله .. أحقاً ستعجبه شخصيتي الخائنة ! .

يا سارة الأمور تستاء أكثر .. أنني أصبحت أرى أشياء غريبة وأسمع أصوات طلقها الواقع وشردها المنطق أكثر مما كنت ، في كل شيء أتحمس أشياء غريبة ، كرؤية جثة في الكوابيس وأحلام اليقظة قد شرحتها قبل ذلك وكشفت الغطاء عن رأسها تسلاً وفضولاً كأنني أبحث عن التعاسة والشقاء بيدي ، إنني أود الراحة أنها في عيني شيء ضال .. النوم بالنسبة لي لعنة ! .. لعنة ليلية تفسد علي كل شيء ، أصبحت أخاف أخاف بشدة الأدرنالين يرتفع في جسدي يرقص بشكل جنوني مريع ، أنني أخاف من أشياء غريبة .. أخاف أن أفقد من أحب بشدة .. أخوتي أخاف عليهم خوفاً لا يطاق ، حتى أنهم لم يعودوا صغار على ذلك وأصبحوا مني

يختنقون .. ، لقد أجلتُ فرحي كثيراً أخاف عليهم .. فكرة أني سأتركهم مميته ، وسيف .. أصبحتُ أحبه مع الوقت فقد أعتدت وجوده لا أحد يتحملني بقدره هو، أني أشعر أني لا أستحقه ، أتعلمين أنني أودعُ آخر أشعة الشمس بجنون بالغ ، أنها تنزلُ على قلبي سكينه كبيرة .. إن الليل غدار يغتال قلبي ، مازلتُ أخاف من الظلام كالأطفال ، لكني أخاف منه في وجود نور الكهرباء حتى .. والتوهم ! .. أنها مشكلة مريضة ، أن يكون المرء جالسٌ في أمان الله ويتخيل حريق في المطبخ ، أو أن يشعرُ بجثة في الغرفة المجاورة ، أو على سلم العمارة كلب شرس مسعور وملبوس يتأهب لمصارعة دموية عنيفة .. شيء سخيف ولكنهُ في عقلي مريب! ، أنا إنسانه أتوهم أشياء غريبة مثلي .. لا أعرف ماذا أفعل .. أدمن النيكوتين وأقتل نفسي ببطيء .. إن كان مدمونه لا يستطيعون الحياة مثلي وأصبحوا جثة ماتت من زمن ومازالت حية ترزق .. فالهم مني العذر ، أتعلمين فكرة أني ماتت من يدي امرأة ليست ما ترهيني أنه عمرها ولا دخل لي هيا ترقد بسلام .. لكن لقد ولدت قصة طفل بدون أم أي عذاب في الحياة وحدهُ من ذاق الألم مثلي يدركه .. أشعر بالذنب بشيء لا دخل لي فيه لوكان ذاك الرضيع يعرف مرارة أيامه لطلب مني أن أعتاله ليلحق بأمه .. ، أوف ثم أوف .. متى أتحرر من عالم الرعب يا سارة .. أنتي دائماً صامته تنصتين لكلامي .. هه نعم لا تحلين شيئاً ولا كنيكِ تواسيني .. ، أقول لكي كفاي ثرثرة ولنحتسي القهوة !

- يا روان يا حبيتي نفسي أشوفك بتذاكري .. دي ثانوية عامة مش هزار خليك زي اختك وذاكري

- يا نهى فكك مني بقى !

كانت رنا بنت متفوقة مهذبة وزكية ، لكن روان .. الفرع الفاشل في عائلتنا ، لم أستطيع السيطرة عليها أبداً ، تهتم بالموضة بشدة وبالفتيان ومصادقتهم لوعلم زياد آه لا أعلم ماذا سيفعل ! أنها .. ماشية على حل شعرها ، لكن ليس بيدي ما أفعله لها ، سأدعها تتزوق طعم عواقب الحياة وكما يقولون .. لتتعلم لا بد أن تتألم .

ماشي يا سيف .. انهاردة .. اوك تنور طبعاً وبعدين قلتك ميت مرة تعال ع طول بلاش الرسميات دي .. ماشي اوك هستناك .. آآه عارفة ! طيب. سلام .. سلام .

أعرف أنك تحبني .. فلم تكررهما ، تلك الكلمة تعيد حياة القلوب وتقلبها في حالة رقصاً وفرح ، ألا قلبي يشعرُ خيبة ووجع .. ولكني الآن معه يدقُ قلبي .. فلم يعد قلبي يتيم المشاعر كما كان ، لكني مازلتُ عصفور بلا جناح .. مازلتُ أسيرة سياج الحزن والهم .. مازال قلبي نسيجاً تمزق وهو لم ينتهي نسجهُ بعد .. مازال يراودني شعور أُنِي شرعُ خائن يضل سير السفينة ، ومازلت ميناء من الفلك مهجور ، مازلتُ في بحر الخوف وسذاجة الغموض أغرق ... !

رنات الباب تدقُ في قلبي .. أتى سيف

جلسنا سوياً أنا وهو وأخوتي .. ثم جلسْتُ أنا وهو مفردنا فقال لي بدون مقدمات ..

يا نهى ... انا عايز اقولك حاجة .. انتي عارفة أنا عندي كام سنة دلوقتي السنين بتجري وبكبر اكرت وعايش لوحدي .. نفسي يبقى ليا بيت وعيلة زي كل الي فسنى " وخالط وجهُ الدموع واحمر وجه أثر البكاء " أنا مش عايز أزعلك عارف أنك خايفة تسيبي أخواتك وهما كمان البنات في ثانوية عامة .. زياد بقى راجل ماتخفيش عليه ، بس أعمل أيه أنا عايش لوحدي أنا بفرح لما بشوفك نفسي أشوفك كل يوم كل ثانية ، انتي واخواتك بيتقوعيلتي وحياتي كلها نفسي نقرب من بعض أكثر .. انتي عارفة احنا بقالنا اد ايه مخطوبين .. كثير ..

ماشي أعمل ايه ! .. ايه الحل ؟ -

انتى ما تعمليش .. أنا الي هاعمل .أنا راقيت فيلا دورين حلوة في المعادي كأنها شقتين فوق بعض ومتشعبة .. نبيع الشقة الي بنوضبها وشقتي ونشترها ونقعد فيها كلنا أحنا دور وأخواتك دور ..

ماعنديش مانع ! -

.. لا بجد احلفي !-

اه واللهي .. وهوانا عايذة ايه غير أن اخواتي يكونومعايا .. -

لا أعلم لما لم أحبه في البداية أنه سر فرحتي ... أنه شيئاً أتاه الله لعندي لكي يسعدني ويعيد لي ابتسامة شفتاي ، أتعلمين يا سارة أني الآن أصبحت أكتب فيه شعراً ! ، ولم يعد شيء يسعدني أكثر من وروده الحمراء ..

- ما حب ألا بعد عداوة

- بالضبط !

الغريب أني عندما حكيتُ لسارة كنتُ أحبه أنا مريضة غالباً .. أصبحتُ أحبه ولا أحبه ، لكن لا فارق أحببته أم لم أحبه .. أنه أصبح أحد أملاكي وممنوع جداً لمسها .. نعم أنا أحب حب فكرة الامتلاك وإن امتلكت شخصاً أو شيئاً محبب لقلبي أصبح محرماً على معشر البشرية كلها .

في أحد الليالي .. استيقظت من النوم لقضاء الشيء المعتاد .. وكان الجميع نائماً ، ذهبتُ للحمام والتي ترهبني دائماً ليلاً فكرة بيت الشيطان أشعر كأني رميتُ نفسي طعماً شهياً لكم يا معشر الشياطين .. فشعرتُ بأحد يتبعني .. شعور يراود الجميع غالباً ..

خرجتُ من الحمام .. أمام عيني :

طريقةً طويلةً فيها تسع أنوار خافتة في السقف ممتدة في خط مستقيم ، في نهايتها كرسي خشبي صغير ، كنتُ أمشي كالسكرانة .. سكرانة بخمر النوم ، رمشٌ يرفرف بين الحقيقة والخيال .. حتى أيقظهُ أضغانٌ أحلام الواقع ! ، الأنوار التسع الخافتة .. زادت نور في آن واحد وطفت كلها حتى أصبح ظلامٌ في الشقة دامس .. فا حملقتُ عيني بخوف .. ما هذا أجنتُ الكهرباء أم أنها ترقص ! .. ، ثم انفتحت الأنوار التسع واحداً تلو الآخر .. رأيت في آخر الطريقة شخصاً .. أوطلاً أسوداً لشخص يجلس على الكرسي البعيد ، وانطفأت الكهرباء ست أوسع ثوان وأتت من جديد ..

ومازال الشخصُ يجلس .. لكنني تلك المرة لن أخف .. لقد تعبت كثيراً ويجب أن ينتهي ذاك الكابوس .. جريت في تلك الطريقة الطويلة تجاه الكرسي ورمشتُ الكهرباء سريعاً حتى أُنِي ظننتها رمشه من عيني فلم أبالي .. نظرتُ للكرسي الفارغ ويدي على حافته وتحدثتُ بصوت مسموع .. أن كان هناك أحداً فأني لا أخاف وأن كنتُ بالأمس خفت فأني أصبحتُ فتاةً حديدية .. من هناك .. من هناك .. لا أحد ولا أحد ، ثم اتجهتُ لسريري مع نوبات وعرشة هلع وغضب .. مرددة .. أنها لأشباحُ جبانة !

رجعتُ للعمل مرة أخرى يا سارة .. لم أعد أتحمّل أن أجلس برفقة هلاويسي في المنزل ، ما حصل البارحة لم يكن حليماً ... لقد كنت في كامل وعيي ، غير أن في الصباح حصل شيئاً غريباً .. أتذكر أنه حصل لي منذ بضعة سنوات ولم أعرف تفسيره ، لقد فتحتُ عيني على صوت هاتفني .. حاولتُ النهوض ولكني لم أستطع تحريك جسدي كان ثقيلاً ولم أستطع أن أهتم بيدي للنهوض حاولت ولكن لا حول مني ولا قوة .. كان أمراً غريباً .. شعرتُ أنني شللت كلياً حاولت أن أنادي على أحد ولم أستطع حتى الصراخ والبكاء ، مرت ثواني وانتهى .. وكان المتصل سيف اعتذرت له وقصصت عليه ما حدث .. فأخبرني أنه شيء عادي وأنه الجاثوم ، سألته وما يعني قال لي لا تهتمي وإن تكرر أقرئي القرآن واذكري الله ، لا أعلم لما لا يفهمني .. كيف أقرأ القرآن وأنا لا أستطيع النهوض .. ألا أن كان يعتقد أنني أحفظ بعضاً منه مثله ، في كل مرة نتحدثُ أشعركِ بالتعاسة يا سارة فاحظتها فرح أذن ! ..

سوف يكتب كتابي يوم الخميس من الأسبوع القادم في جامع ... أراكِ هناك طبعاً ، لا مواعيد فارغة لحجز الفرح فغالباً سننتظر شهر آخر .. لا نود فرحاً أصلاً أنها في رأينا تافهات .. ولكن عمّة سيف مصرّة جداً وهو يعتبرها بمثابة أمه فلم يستطع الفرار من أحكام رأيها الصارم ، كنت أظن أنني عقبة هذا الزواج .. لكن العقبات في كل شيء تتربص ههه المهم أنني لم أصبح عقبة !

لقد ظننت في البداية أن خطبتنا ستكون خطبة سرمدية لا أول لها ولا آخر .. لكن كل شيء ينتهي .. ، سنتتهي حكاية الخطبة عما قريب لتبدأ حكاية أعمق وأكبر .. الزواج يشبه الإبحار ضد هوج الأمواج

وعكس التيار .. أن كنت تجيد الإبحار فا توكل .. وإن لم تكن فا قيعان
البحار عميقة تسعُ الغرق ، وأنا أجيد أدارة المنزل بمهارة .. تدريب
وخبرة سنوات عدة .. ، لكن يا سارة ما الجديد ما الممتع ؟ .. أخبريني
، أي عشْتُ فترة الصِّبا كأني امرأة ناضجة تربي أولادها .. يا لهُ من ملل
أن أعيد الكرة ! ..

- سنلعبُ لعبة الصراحة أنا وأنت يا سيف وسنتكلمُ على الأوراق إني
أومنُ ببلاغة الصمت وعمقه وصدقه ... أخبرني كم تحبني ؟
- أحبك كلمة لا محل لها من الأعراب .. ووصفها يعدُّ ثرثرة لا أكثر !
.. وأنتي أخبريني ولومرة أسمعيني ..
- ألم أحكيها لك كثيراً ؟
- لا لا .. أنها بلا حياة ميتة بلا نبض كما كنتِ تعامليني معاملة جافة
تضيِّقُ لها الصدور
- لن أكذب عليك .. أني لا أجيدُ الكلام المعسول .. ولكنني في البداية لم
يكن قلبي يفيض لقلبك بشيء من المشاعر .. أن أخبرتك أن ذلك في
الماضي وكل شيء قد تغير أتصدق ؟
- بالطبع .. أني لا أومن بلغة الكلام بقدر لغة المعاملة ولغة عيونك كانت
أعمق .. لم أكن أجيد قراءتها وكل مرة تزداد تعقيداً .. لكن الآن بقرب
قلوبنا حللتُ شفرة عينك أخيراً .. فا الحمد لله !
أخبرني يا سيف لما كلُّ مرة تأتي تحضر وردة حمراء ؟

- ألا تحيين الورد !

- لا يوجد امرأة لا تحبها ولكن معشر الرجال لا يهتمون بعقول النساء ويعتبرونها سذاجة ويتحججن بأنهن ناقصات عقول .. والغريب أنهم هم الساذجين .. أن المرأة تحب الورد بقلبها ولا للعقل أية صلة .. شيء أبسط .. أنها تستطيع أن تشتري الورد لنفسها دون انتظار من يهدئها ! .. فالهدية البسيطة التي تهدي من القلب تدخل للقلب دون نقاش أما هدايا الرسميات أنها بلا روح تؤخذ تحت شعار مزيف أسمه " المجاملات " .. وورودك المهداة لي جعلتني أشعر بالتميز وجعلني أفهمك أكثر .. فا رجل الورد هو الأكثر رقي .. ولا ننسى دور المخدرات السمراء للبنات .. أنها سحر في تعديل المزاج والفوز بالقلوب دون نقاش ! .. وألا ما اشتراها كل أب لأبنته المدللة

- لم أكن أعتقد أن الأمر هكذا .. كان أبي يهدي أمي وردة حمراء باستمرار حتى وهم عجائز .. أني على احترام المرأة تربيت .. وها أنا أكمل نهج أبي ..

أنه إنسان رائع ونادر.. ووالداه يستحقان رفع القبعة لهما .. ، والأجمل أنه نسي سؤاله الأول .. لقد أنسانا ثثرة الكلام اللعبة أصلاً .

دعوت لكتب الكتاب كل زملاء العمل والدراسة حتى هيام واتصلت بياسمين لأدعوها هيا وأسرتها .. ولكنها ردت .. بقله زوق .. وأنها كانت ستتصل بي لتدعوني على خطوبة رامي من من تدعي .. بسكوته .. مثير للسخرية ! " المقصود على سبيل الغيظ ولو كنت لأعتاظ لما كنت

رفضت خطبته في البداية ! " فباركْتُ لها بصدر رحب ، أمر مثيرٌ للشفقة .. لا يتغيرُ الشرفينُ من مكرهم أبداً ، ودعوتُ أم علي وزوجها ولكنهم لن يحضروا لظروف السفر ووعدوني أن يحضروا في الفرح ، ودعوت أقاربي المختفين ، وما عكر صفومكاملة زوجة خالي ، أن خالي توفي منذ أكثر من شهرين نعم لم يخبرني أحد ولكن هو لم يكن يتصل بنا أصلاً ولم أتعلق يوماً به فحَقاً لم أتأثر ! .. وما يثير الشفقة أن باقي الأقرباء لن يعرفوا خبر موت أمي وأبي سوى الآن !

" يوم كتب الكتاب "

كنت في فرح كبير طوال اليوم وكان أخوتي فرحين أكثر مني ! .. تقريباً فرحين للتخلص مني ولأكف عن أعطائهم الأوامر وتمثيل دور الوالدين بالمناسبة .. لم أضع الكثير من المساحيق الكثيرة التي تصنعُ مني شخصاً.. القليل يكفي وستعدهُ لي روان ، في الحقيقة المرأة التي تضع الكثير من المساحيق ليست تنحصر دائماً أنها قليلة الثقة بنفسها .. المساحيق أصبحت تمثل للفتيات إدمان من نوع آخر .. فتضعهُ كلُ الفتيات بمقاييسُ الجمال المختلفة ! .. لا لأن تكون جميلة ! .. كل الفتيات جميلات ، ولكنني لستُ كذلك أنا أمشي بمبدأ .. الطبيعي يكسب .

تم كتب الكتاب .. دائماً الفتياتُ في تلك اللحظة تبكي .. لا أعلم ما سرُّ دموعهن ، نعم ظفرتُ دمعات لكن كانت اشتياًفاً لمن يسكنون قلبي ولا أراهم كمن يحيل بينه وبين يديه الضباب .. كم تمنيتُ حضن أُمي وأبي في ذلك اليوم .. أتمنى أن أراهم.

مرت بضع ثواني من الزغاريط التي تصلُ ترددها إلى ألف هرتز ! وفيما فوق .. والتهنئات الساقطة علينا ، ظلت عيني تبحثُ عن صديقتي سارة حتى وجدتها وسط الزحام بعيدة .. تبتسم لي في سعادة ظاهرة فألحْتُ لها بيدي أن تأتي ، فسألني سيف بعد أن أنهى كلامه في دائرة التهنئات مع أصدقائه ...

بتشاوري ملين ؟ .. لصاحبتي هناك أها .. ممم متأكدة فين دي ؟ ... يا أبني وسط الزحمة هناك أها .. طيب ! ، لا أعلم لما لم تأتي لتهنئني .. لا يهم على كل حال ، بين الزحام ملحُتُ وجوهاً أعرفها بعيداً عن مرمى البصر وجوهاً اشتقت لها .. أنهما .. أنهما أُمي وأبي ! بحثُتُ عنهما وتركتُ يد سيف التي كانت ممسكة بيدي بشدة وكأني سأهرب لم يلاحظ الناسُ ، إني لم أتحرك كثيراً لأن عيوني فتشت عنهم ولم تجدهم .. ولكني أقسمُ أني رأيتهم ولم يكن حلماً تلك المرة ! ..

كُتِب الكتاب وقضينا بعده سهرة ممتعة في أحد الفنادق ، لم يرفقنا أحد ، الموسيقى في كل مكان ولمعانُ عيوننا التي تشبه حبات الؤلؤ المضيئة التي تضيء المكان وكنور القناديل في ليل شديد العتمة ، أخبرني كلاماً معسولاً وأمسك بيدي وأخيراً .. أترقصين ؟ .. أخذني في رحلة بين ساحبات الخيال .. وكأنه حلمي المنشود الذي رددته من المهد .. يتشبهُ

بيدي كطفل صغير ، شعرتُ أننا عصفورين نظير في عنان السماء .. أني
استنشقت منك ريح الصبا ، وقلبي .. يدبُ فيه ريحٌ دوامية فيها إعصار
في المشاعر ورعدٌ في الفكر وبرقٌ في سرعة دقات القلوب ومطر من لمعان
العيون في فرح .. لا أعلم كيف كنتُ في كرة منك وأنا ألان في حب
ووداد .. وود ووثام ، كفاك يا موسيقى الأوهام .. لا تزيدني تعاسة فأني
في خيال سيتمرد منه الأم واقعي .. فأني في قصور الوهم أطير كفراشةُ
المتيم الهيمان .. ، نائمة .. أرتدي الحرير فوق غيمة بيضاء ومعني عصاه
تحملُ سحراً برائحة الياسمين .. كفاك يا وهم كي لا اصدق وأصدق تلك
الأوهام أني كنتُ دون سيف أحارب .. فأصابني عشقٌ مميت مازلتُ
منه لا أفيق ، أخذني معه ممسكاً يدي كفراشة .. وقصتنا تشبهُ سندريلا
.. شربنا الحب في كئوس .. ثم ذهبنا للحديقة وغنيتُ له أغنية من أغاني
العشق بصوت عال ..

.. فالتفت الناسُ حولنا باحثين عن ذاك الصوت الشجي من خامة
السوبرانوالمذهلة .. فاجتمع الناس حولنا ، فوضع سيف يدهُ على فمي
... وأمسك بيدي واتجه بعيداً .. ضحكتُ عليه كثيراً أنه يمارسُ دور
الشرقي الذي يخافُ على أملاكه .. على كل حال يروق لي بشدة !

أين كنتِ يا سارة لم أراكي سوى ملحة عابرة .. لا تبررين على كل حال .. ! ،
غريب ما حدثُ إني رأيتُ أُمي وأبي هناك ينظرون إلي بعيون الحب ،
رأيتهم خمس ثواني ما بين الرمشة والرمشة .. آل كل شيء ! ، إني اعتدتُ
الهلاويس على كل حال ..

" ثم صمتُ برهة ثم برهة .. وقلت "

صحيح أودُ أن التقط معكِ صورة سيلفي تذكارية لأضعها في شريط
الصور الذي سيعرض في الفرع .. أتمنّين !

فتحت كاميرا الهاتف بجوارها ... ولكنني صعقت !!

صعقتُ بشدة أنها غير موجودة في الكاميرا أصلاً !.. فوضعت يدي على
يديها مازلتُ أمسكها ، .. اعتذرت منها ! ورحلت .. كانت حجة بقيت
في النادي حتى اعتقادي بذهابها .. من تكون !

أهَي من الجان مثلاً ! ..

ذهبتُ للكافتيريا التي كنا فيها ونكونُ فيها باستمرار وجلست .. وجاء
لي الجرسون وقال .. طلب حضرتك المعتاد ! .. فقلتُ نعم ، وأحضر لي
كوبين من القهوة .. فقلتُ له عفواً لمن الكوب الأخر .. فكانت الإجابة
صاعقة أخرى أنني أعتدتُ شرب كوبين من القهوة عندهم في كل مرة
أتي فيها .. فضحكْتُ ساخرة .. أعرف أعرف وأحدثُ نفسي أيضاً !

لهذا السبب لم يراها سيف في كتب الكتاب .. لا أعلم كيف أشخصُ حالتي
أني أرى أشخاص غير موجودين وأشخاص متوفين وجثث في الكوابيس
قمتُ مسبقاً بتسريحها .. السؤال هنا من في حياتي غير حقيقي أيضاً
هلم في ظهور الحقيقة أنني تعبتُ من الأوهام والهلاويس .. أخاف أن
يكون سيف وهماً أيضاً لكن أُلْفُ سبب يمنع ذلك الحمد لله .. الحمد
لله لأول مرة ترطب لساني الجاف ..

بكيْتُ بشدة فيضان دموع مميتة أنني أحاول أن أعيش بصورة طبيعية
ولكن الحياة تكرهني ترى الحب من أجلي حرام والصدقة شيء صعبُ
المنال ، بعد ذلك ليس لي حق في البكاء في أمراً غير ذلك ! ..

في اليوم التالي اتجهتُ لعيادة والد هيام هودكتور نفساني .. طلبتُ منه أن يبقى الأمر سراً، حكيئُ له كل شيء ... لم يرد يخبرني في البداية تشخيصه .. ولكن بعد إالحاح علمتُ أني مصابة بانقسام الشخصية .. وسارة لم تكن من الجان أنها من صنع خيالي المبتكر ، وأمي وأبي لم يأتيا من السماء ليحضرا من أجلي مثير للشفقة ، حالتي متدهورة جداً ، ويجب أن أذهب لأحدى المصحات النفسية .. ! لأدخل قسم الهلاويس .. ! ، ولكن .. مستحيل ، لستُ مجنونة أرجوك لا تفعل هذا لا يمكن .. أن اترك حياتي .. أعلمُ أن بها شرحٌ عميق .. ولكن لا يجب أن أتركها .. إن زفاني قريب ماذا أخبرُ زوجي أخبرهُ أن زوجته مجنونة .. مختلفة عقلياً .. لا أريد منديل .. دع دموعي وشأنها فهي ليس من شأنك .. أنها تهرب قبل أن تتلقى حدفها في سجنك أوأنها تهربُ مني .. لا أحد يشعرُ بما يسري بأعماقي .. لا أحد يشعر ..

لا أعلم كيف هربتُ منه ! ، أنه رجل مجنون وليس أنا ، اتصلتُ بسيف طلبتُ منه أن يأتي فوراً وقد وصلتُ حد الانهيار .. لقد جعلني أشعر بالعصبية المفرطة وذلك يجعلني أشبه الدابة المتلاحكة في غضبها ، أخبرته بما حدث .. وأخبرته أنه إن أراد أن يطلقني .. فسأغفر له ذلك ! هدأ من روعي وقال أنه متمسك بي رغم كل شيء وأنه لاحظ غرابتي وهو يعرفُ أني مريضة بالفصام ولا كنهُ لم يخبرني وزياذ يعرف أيضاً خصوصاً بعد أن قابل سميذ الذي دهسته عربة المتروكل ذلك لم يحدث أصلاً وسميذ حي يرزق ! .. وأشياء أخرى غريبة تثبت .. عندما أخبرتني أم علي بالشخص الذي قتل في حيننا القديم .. ربما لم تأتي أصلاً في هذا

اليوم ولكن لم يقتل أحد أصلاً وربما كان حليماً أدمجته بالواقع .. وسألني عن فوبيا الدماء التي كانت عندي كما قال له زياد عن غرابة الماضي أيضاً .. فأخبرته أنه كان كابوس قصير وانتهى سريعاً أنني طبيبة والدماء أرها في عيني كرؤية المياه المتدفقة ، لم يخبرني وكان هو زياد في قلق ليروحلاً .. أنه كان يخاف علي من أمثال سجن العباسية ! ، ظلت أبكي كثيراً وقال لا تقلقي ستثير الأمور طبيعية سنتزوج فيما قريب ولن يعلم أحد عن مرضي .. لكنني لا أهتم من يعلم أم لا ما الحرج في هذا ! .. سأتناول العلاج الذي سيكتبه طبيب من الخارج بعد أن يأتي ليراني ، وقال لي .. سأحميك من الطبيب المجنون ، وأني سأكون على ما يرام ..

أنهى أخوتي الامتحانات .. وتبقى على الفرحة ثلاث أيام

ذهبنا لفرش الفيلا .. وكان الفرخ بيننا واضح بشكل كبير كان أفضل يوم قضيته في حياتي تقريباً ! ، كنت أنا وسيف وزياد ورنا وروان وعمة سيف وخالته وابنة خالته سندس وهيا صحفية .. وهيا ورنا وروان وأصباحا أصدقاء بعد عشرة يوم من العمل الشاق سوياً .. وقفت عمته بجواره هيا وخالته في تنافس من الأفضل .. يمارسون ويعوضون نقص الحموات بدورهن .. ، فوالداه متوفيان منذ أربع سنوات ..

كانت الفيلا دورين .. كل دور له سلمه وبابه الخاص ، وغير متصلين ، كانت تحفة فنية و.. أحببتها بشدة ! ، كان سيف لديه ورث كبير فلم يكن أمراً يشق عليه .

ارتدى سيف وزياد ملابس مضحكة للعمل والغبار يملأهم .. ووقعت
عليهم الكلمات المازحة وقوع المطر .

بعد نهاية العمل الجماعي .. كل واحد مرمي جسده في مكان من
التعب وتنهيدات من المشقة

وهنا يأتي المنظر الرومانسي .. أنا وسيف في الشرفة ، أنا بشعري الطويل
الأشعث الذي أصبح عجرياً مضحكاً ..
وهو .. يشبه اللمبي .. ويقول لي كلاماً جميلاً ! ، هنا يكمن الحب ..
أن يراك من يحبك في أسوأ صورة ويحبك أكثر .. هذا ما كنت أتمناه .

ذهبتُ لأم علي وزوجها ودعوتهما للفرح ، وكانا في قمة فرحهما ! ، حقاً
لا يوجد حبٌ صادق كحب العجائز .. كل عرق من عروقهما تحكي قصة
وتتعدد العروق .. من يحكي قصة كفاح وأخرى إصرار وأمل ومرض
ومسك الختام عروق الحب في رقبتهم وقلبهما وكفوف الأيدي بلمستها
تحكي عن هول الزمن وقسوته ! ، لكنهما جميلين رغم كل شيء وتسكن
داخلهما روح طفولية لذيذة .. ونظرتهم لبعضهما تحكي حواديت الوفاء
والصدق والحب معاً

يوم الزفاف .. الضجيج يملأ شقتنا والفوضى .. أنه لمن الجبروت والقوة أن
أسمح لنا وروان وصدقيتهما أن يقوموا بتزييني ! .. وارتديتُ فستاني
الأبيض وجعلتُ شعري الأسود الطويل مفروداً حراً طليقاً ..

وجاء الفارس في عربته السحرية ، كان يوماً كألف ليلة وليلة .. لكنني
طوال الفرحة كنتُ خائفة أشعر كأن أحداً يتبعني أخبرتُ سيف في همسة
وبجدية .. فقال لي وهويضحك .. ده اتلاقيه المصور ! .

يوم الزفاف .. هو اليوم الذي ستشعرين فيه حقاً أنكِ ملكة .. وأوكأنك
من المشاهير والكُل يلتفتُ حولك .. العيون تلاحقك في كل مكان .. وإن
غبت لحظة عن عيونهم تتردد الكلمات .. " فين العروسة " .. وكأن
أسمك تبدل ليصبح في هذا اليوم .. " العروسة " ، وددتُ كثيراً لأوقف
الزمن عند اللحظات الجميلة وكلنا نود .. لكن كل شيء ينتهي .. الحياة
فرح وحزن .. شيء متناقض لكنه عملة واحدة لها وجه جديد .. والوجه
الأخر صدأ .

لم ألاحظ وجود أم علي وزوجها حسن في الفرحة ، فطلبتُ من سيف أن
نذهب لرؤيتهم .. فقال لي بعد أسبوع حتى ! فالعروس لا تخرج سوى
للتنزه أو السفر .. اوقفف أنها لتقاليد عقيمة !

مر أسبوع وذهبتنا لهم وطرقنا الباب مراراً .. لا أحد ، فكان أحد سكان
العمارة صاعداً على السلم فسأله سيف عنهما فأخبره أن أم علي توفت

منذ أكثر من سنة وزوجها منذ خمس سنوات !! ..

هنا وضعتُ يدي على قلبي ودار رأسي .. وعندما فتحتُ عيني رأيتُ
سيف بجانبني في منزلنا .. فأخبرتهُ عن أضغاث الأحلام تلك .. فأخبرني
أنني مازلتُ لا أفرق الواقع عن الحقيقة .. لقد ذهبنا لهم بالفعل ! ..

الفصل الرابع

كلنا حين نولد نكون في قمة صفائنا خاليين من الفساد .. لكن نرتدي أعمالنا ، فالفساد يأخذ الفساد درعاً له يبرر به أعماله تحت شعار " الغاية تبرر الوسيلة " على سبيل المثال أسرق لأعيش ! ، ومن تربى على القيم وحافظ على بريقه حتى ولولامسه الغبار .. فيكون نوراً يضىء لمجتمعه خشية الضياع

"

obseikan.com

معاك فلوس تعيش أمير ... معاكش نام ع الحصر :

من قلب المستشفى الأمراض النفسية :

حيث مكنت ثلاث أشهر .. الأمر في ظاهره ليس شيئاً .. متوصي عليا جامد .. دفع سيف مالا كثيراً وتعب معي أكثر .. ، أول أيامي كانت مرعبة .. ولكن تغير الأمر .

الوحدة مميتة .. أنا مازلْتُ عروس ! .. ويجب أن أكون في أحضان منزلي الجديد أتنعم بملابسي الجديدة وأرتدي " شبشيبي الفرو" وأغني كل يوم في الصباح مع الطيور ..

وأصنع أول طبق ليأكله من يدي .. في ثاني أسبوع من زواجنا لقيتُ حتفي هنا ، الآن هوفي المنزل برفقة أخوتي ، ربما البيت أصبح فوضوياً .. وسيف ربي ذقنه .. ويعيشُ حياةً مأساويةً وأصبح بدوني ليس له ميناء يستقرُ عليه فكره وأصبح رجلاً محياراً كما كان في البداية .. أنه أعطاني مفتاح قراراته ..

أم أنه ينساني ويستمتعُ برفقة الأصدقاء .. !

أن عقلي لا يتوقف عن حياكة الأفكار .. أنا صامته دائماً ولكن الضجيج داخلي عالياً جداً ، أنا لا أعلم هل جئتُ هنا من أجل الشفاء أم من أجل المرض ؟

أصبحتُ أفضل كثيراً والهلاويس تختفي شيئاً فشيئاً .. مازالت الكوابيس ترافقني .. لكن أصبحتُ أفضل بشكل ملحوظ ، لكن ما أصابني هنا هو الاكتئاب طبعاً ..

لا شيء كحظي النحس .. هويرافقني دائماً ! ، استفدتُ من هذا السجن كثيراً .. أحضرت معي كتباً كثيرة قرأتُ خمسين كتاب في ثلاثة أشهر .. كان يوم خروجي من المستشفى يوم عيد .. أخيراً سأكون حرة وأخيرا

سأمارسُ حياةً طبيعيةً مثل معشر البشر .

obeyikan.com

المرضى النفسيين ليسوا مجانيين ويجب أن نسلط عليهم ضوء الاهتمام .. أتعجبُ عندما أرى بعض المراهقين يتدمرون ويشكون ويودوا أن يذهبوا لطبيب نفسي .. كل ذلك لأن حبيب القلب المهضوم .. سابها أوسابته ! .. ، الطب النفسي يجب أن يطور ويجب أن يزال عنه الغبار .. ، وأدركُ يقيناً أن حياتهم كابوس مرعب .. تخيل أنك تشاهد فيلم رعب كل يوم في كل لحظة وكل ثانية في حياتك ! .. أنك عندما تشاهد فيلم الرعب تكون مشدود الأعصاب وتصر نفسك مردداً .. في منتج وفي مخرج ! .. وربما بعده تتلفت من ما سجله عقلك من خوف ، أنهم يشاهدونه كل يوم يخافون كل يوم .. فكر فيما يعاني منه مرضى الهلوس كمثال .. النوم وسيلة الهروب من الواقع المرير .. فماذا إن هربت لكابوس آخر مما سجله عقلك الباطن .. الأدرنالين يتدفق بشكل جنوني خوف وهلع من كل شيء .. ، أنني أتفهم الأمر جيداً وأشعر بما يشعرون في كل وهلة ... ببساطة لأني مررتُ بما يمرون ، وربما أدور معهم في حلقة الرعب مجدداً .. هذا أن توقف العلاج ، فقط من مر بمثل هذا سوف يمكنه أن يشعر .

د . نهى عصام عبد الغفور

كان هذا مقالتي الصغير في مجلة تعمل فيها سندس ابنة خالة سيف .. وخطيبها هو صاحبُ المجلة .. طلبتُ منها أن أنشر مقالاً صغير فلم تعترض وكلمها وجدتُ قضية تستحق سأرسل لها شيئاً .

الآن رنا في كلية العلوم وروان في كلية آداب ..
تعددت الكليات في عائلتنا الصغيرة .. كل إنسان يسعى في الحياة وحده،
مهما كان مجاله .. يجبُ عليه أن يتقنه ويبدع فيه وهذا هو المطلوب..
فالمجتمعُ لا يريد طبيباً فاشلاً ولا يريد مديعاً كاذباً .. فنحن لا نحتاجُ
لسم الدماغ .. يكفي .. ، فقط المجتمع يريد .. الصدق .. الاجتهاد ..
التسلح بالأمل .. والاجتهاد .. والعمل باجتهاد .. فلا يأتي النجاح للكسالى
أبداً .

كان زواجنا مصلحة لي من القرب من الله أي أصبحت أفضل ، كنتُ
أرى سيف يصلي دائماً طلب مني كثيراً أثناء خطبتنا أن أهتم بالصلاة ..
ولكني لم أكن أهتم أبداً ، الآن أصبحتُ أصلي دائماً ، ارتديتُ الحجاب
عن أقتناع ولم يرغبني هوحبيني في كل شيء من سلوك ولم يرهبني ،
الحياة أصبحت أجمل .. وفتحت أبواب وسكرت أبواب .. فتح باب
السعادة والأمل .. وسكرت أبواب التعاسة والحزن ، حقاً إن المال لا
يجني السعادة فهيا لا تشتري .. لقد كنت عروسة قضت شهر غسلها
في سجن الأمراض النفسية ربما العين الحسودة رأَت المال .. سأعيش
في منزل كبير ، ونفس العين ربما تقضي تلك التفاصيل في سعادة بدون
مال ، فالأرزاق ليست سلعة لا تشتري ولا تباع .. أنها تأتي من عند الله
، لقد كنت إنسانة أصابها الجزع انزويت عن العالم فترة الصبا .. برغم
أن بالكاد أشخاص غيري واجهوا صراعاً مع الحياة يشبه صراعي .. لكني
أصابني الجزع والهرم في يافعة الشباب البكر .

أنا وسيف أصبحنا وجهان لعملة واحدة ، أننا نحب بعضنا حباً جما ..

دائماً نحلم أن نكون في الجنة معاً .. فالدنيا وحدها لا تكفي ، يساعدني على طاعة الله وأساعدته ، نصلي قيام الليل سوياً ، أوقظه لصلاة الفجر .. الحب المبني من أجل الله وفي الحلال هو أسمى حب ، والحب الحرام ليس سوى أكاذيب !

لستُ خديجة وهوليس محمداً .. ولا كننا نسعى لأن نكون نشبههم ، لقد فعلتُ أشياء لا تغفر في الماضي أردتُ أن أحبه بالشهوات .. كنتُ إنسانة طائشة لا تعرف الله ..

إن من لا يمشي وراء قواعد دينه فاسيواجه متاعب الحياة بشكل كبير .

أنا الآن أدرس الماجستير ، يجبُ أن أكون طيبة كفو من الدرجة الأولى.. كوني طيبة شيء يدعي للمسؤولية الكبيرة .. ، حياتي لن تتوقف بعد الزواج ، أحلام بعض الفتيات تتلخص في أن تصبح عروسة وتلبس فستانها الأبيض .. حتى وإن لا تدري لمن تلبسه ! ، ألا أنها تلخص حياتها فيه وكأن الحياة بعد ارتدائه ستفتح لها باب جنة الدنيا .. أنها أكاذيب والحياة ليست بتلك السهولة حتى وأن كنت متيم بمن تحب ، يوجد مشاكل وأزمات مالية وتربية الأطفال والعناية بهم .. هذه تفاصيل سيمارسها الجميع ، لكن يوجد حياة أخرى لكي أنتي .. حياة الفتاة يجب ألا تقصر في هذا فقط .. خلقنا الله لنعمر الأرض لذا نحن أمهات.. وهذا واجب رباني وواجب تجاه المجتمع ... لكن ليس عيب أن ندرس ونعمل وممارسة الحياة بكل ما فيها ، كل من في استطاعته شيء يجب أن يفعله ويحاول عدة مرات لينتج أفضل ما لديه .. دائماً تكون هناك تجارب لعل أحدهما فاشلة أو ربما كلها فاشلة .. نحن نسميها فشل لكن هي أخطاء يجب التعلم منها ، لا أحد ينجح ويصعد للنجوم بدون عواقب وراء كل

نجاح باهر .. كثير من الألم وتعب واجتهاد وكثير من الفشل في البداية! ،
لكل منا له موهبته الخاصة أوشيء يتقنه على الأقل .. لا يجب أن تدفن
الموهبة أبداً .. المجتمع يحتاج لبصماتنا المميزة .. يحتاج لصفوة ما لدينا.
ضع بصمتك .

- يا سيف
- نعم يا حببتي
- بتعمل ايه عندك .. - لا مفيش يا حببتي طبقين بغسلهم مش أكثر ..
انتي بتعملي ايه ؟
- حنتين غسيل بس هاشطفهم وهاجيلك

الحياة لا طول فيها ولا عرض ولا تحتاج لكبرياء مزيف .. أنا وسيف
نتقاسم أعمال المنزل .. كلانا نعمل وكلانا ندير المنزل ، لا كني أديرُ منزل
أخوتي أيضاً ، فالحمل ليس خفيفاً .. ولكني كنتُ أديره باهتمام بالغ
وعلى أكمل وجه .. ، وكنتُ في نفس الوقت أحيي موهبتي المدفونة ..
الكتابة .. أصبحتُ أكتب كثيراً وكتبت سلسلة كتب صغيرة عن الواقع
والمجتمع .

اعتدنا دائماً سماع أن الفقر يصنع الرجال ، نعم حقاً فالإنسان من تربي
على الشقاء تعزز في نفسه على النضال ومكافحة الحياة الصعبة بدون
خوف ، وليس ذلك فاحسب انه يبني الرجال لا أشباه الرجال التي
انتشرت في تلك الأيام ، ليست قاعدة أن يكون كل فقير رجل ! ، فيوجد

من مدمن على المخدرات تحت شعار " بتهون العيشة " ، لكن ذلك يرجع إلي الظروف السائدة في البلاد ، ولكن ليست حجة على سبيل المثال أن وقعت قطعة من الذهب في كومة من القمامة لن تفقد بريقها حتى لولامستها ألقاذورات ! ، أحرقت القمامة وستبقى القطعة الذهبية بكامل رونقها ... باختصار كلنا حين نولد نكون في قمة صفائنا خاليين من الفساد .. لكن نرتدي أعمالنا ، فالفساد يأخذ الفساد درعاً له يبرر به أعماله تحت شعار " الغاية تبرر الوسيلة " على سبيل المثال أسرق لأعيش ! ، ومن تربي على القيم وحافظ على بريقه حتى ولولامسه الغبار .. فيكون نوراً يضيئ لمجتمعه خشية الضياع ، كلنا ملك لمجتمعنا فلا تبرر حُرَيْتِكَ الزائفة في تخريب المجتمع ! . حرَيْتِكَ تحت الظروف القياسية هيا التي لا تعترض الدين والقيم .

علمنا أن الفقر يصنع الرجال ولكن ما بال النساء إنهن صاحبات دور كبير في المجتمع ، معشر النساء يحبن الدلال بل يعشقنهن تقريباً فكيف يدللهن الفقر ! ، لكن ليس كذلك كما يعتقد الرجال إنهن فقط يبحثن عن شيء من دفئ من احتواء بكل معنى الكلمة ، إذن أساس بناء الفتاة الصالحة ليس العنف ولا كثرة المال أمّا الاحتواء .. فأن كنت أباً ولديك أبنه احتويها كن لها الصديق والحبيب وكل شي فأن لم تجد ذاك الدفء فيك فا سوف تبحث عنه في الخارج .. " والحدء يفهم " ، ولم أقصد الدلال ألا في المعاملة وليس بمعناه الأخر .. الدلع وعفواً المياصة والأستهبال .. فذاك طبعاً يفسد كثيراً فتاة تلك الأخلاق لا تصلح سوى لفساد المجتمع ، بالطبع ابنتك ستخطأ لكن لا تقسوع عليها باستعراض " عضلاتك " ، وأما على سبيل المثال لا تكلمها ذلك أصعب أنواع الحرمان بالنسبة لي ، غالباً ستحاول أن تقوم بدور القوية في البداية حتى وأن

طال الأمر فرمما خافت من حديثك أن " تصدها " وستكره التفكير في ذلك ، ستظل تبحث كل ليلة بداخلها عن ذاك الدفء لكن سيتعثر عليها إيجادها غير في كلامك فستحاول هيا أصلاح ذلك وللأم الدور في جعلها هيا من تصالحك وليس العكس طالما هيا من أخطئت طبعاً ... فلسفة طويلة ولكن بسيطة تعلمتها من أبي في الماضي .. أبي ذلك التاج الذي كان على رأسي مرصعاً بالجواهر والآن أستوطن قلبي ، أما عن الفتيات اللاتي يتقمصن دور " الرجولة " شبيهات الرجال فأنا لا أعتبرهن من معشر النساء أصلاً ! ، إن التربية السليمة للفتاة هيا أساس لمستقبل رائع لمجتمعنا ، بحكم أبي فتاة وأعرف الفتيات جيداً .. علمت أن أساس فساد الفتاة لم يعد يترتب على التربية الغير سليمة ! إنما أصبح للمجتمع دور بارز في ذلك ، لكن نتساءل ما الحل !

في اعتقادي يجب أن تخلط التربية بالدين في أناء واحد .. فالتربية وحدها حقاً لا تكفي أما الدين فهو مدرسة الأخلاق ، على سبيل المثال فتاتين أحدهما تربت على أساس التربية السليمة وأخرى تربت على الدين وليس شرط ذكر التربية فالدين هو وحده أكبر أساس في التربية .. الفتاة الأولى حتى وأن كانت تربيتها سليمة ألا أن للمجتمع دور بارز في ذلك والأصدقاء والوسط المحيط وتلك الأشياء أن كانت فاسدة فأنها تأكل وتنهش كل الأساس السليم وذلك لوجود نقص عنصره الأساسي .. الدين طبعاً ، أما الفتاة التي تربت على الدين وأقصد الدين في جوهره وليس كمصطلح زائف في شعارات أورموز بدون تطبيقه .. فهيا وحدها ستستشعر مراقبة الله لها فا سوف تكف عن نفسها الحرام ، وذلك مع الفتيان أيضاً من الناحية الدينية ، من وجهة نظري أن لا يجب أن تراقبوا أولادكم فقط علموهم من الصغر أن الله يراقبهم وليستشعروا

ذلك ، لم أكون بعيدة عن محور الموضوع .. قضية المجتمع هيا شعلة واحدة من القضايا .. ، لينهض المجتمع يحتاج للمواطن أن يتسلح بأخلاق دينه .. فالدين هو الأخلاق .. مع العلم والعمل بقوة معاً تتكون الحضارة .. ونتخلص بهما من عبودية الظلم فالمجتمع أصبح واعاً ، ولكن مادمناً مجتمعاً جاهلاً غير واع يستهزأ بالكبار علماً ويصفقون لذوالجهل والفجور وأصحاب الفساد فلن يتغير حالنا سوى للأسوأ ولن يتغير أبداً حتى يلج الجمل في سم الخياط ! .

وددتُ كتابة شيئاً عن القضية لأن الكتابة تصنع إنسان واعيأً مدركاً لما حوله ، فانتهزتُ تلك الفرصة لشرح قضية صغيرة تمثل شرخاً كبيراً في مجتمعنا الحالي .

د . نهى عصام عبد الغفور

ونشرت سندس مقالي الأخير في المجلة

من الرائع أن تعثر على موهبتك المدفونة وإن كانت تحت الأنقاض .. !

رجعتُ من العمل في العشاء .. منهكة من المواصلات كالعادة حاول سيف أن يعلمني القيادة ولكني لم أستطع .. أنا أخري .. أن أقود عربة التسوق في السوبر ماركت !

فتحت باب الشقة .. وكانت مظلمة تماماً ومجرد فتح النور وجدت لوحة كاريكاتير كبيرة لي أنا وسيف وبجانبني أخوتي .. تقليداً لأحدى صورة زفافنا .. لم أرى أحداً منهم .. قلت نداءً لهم فلم يلبني أحد النداء .. نظرتُ للصورة بتمعن وفكرتُ كثيراً اليوم يوم ماذا .. ليس عيد زواجنا

لم تمر الأيام بتلك السرعة .. ليس عيد ميلادي ولا عيد ميلاد سيف .. لا أعلم !

لكن ما أعلمه جيداً أنهم هنا

.. أظهر وبان عليك الأمان أنت وهيا ..

ثم رأيت موسيقى تنبعث من وراء كراسي الأنتريه .. فا صعدتُ على أحداهم حيثُ مصدر الصوت .. فكان سيف .. كان ممسكاً بمشغل موسيقى صغير في يده ، وظللتُ أبحث عن أخوتي وجدتُ من كان في إحدى الغرف ومن كان وفي الحمام ومن كان على السلم يراقبني ..

و بمجرد أن رايتهم تعالت مفرقات وحرب ثلج وفرقة البلاين حتى أصبحت الشقة كتلة فوضوية .. لقد سبق وقلت أن سيف ينقصه بعض الجنون .. تقريباً أنا من كان ينقصني ، وبعد انتهاء الحرب .. سألتهم ما سبب هذا فأخبروني أنه عيد الولا حاجة .. لا يوجد عيد لكن نقصت روح المرح فا وددنا أن نحبيها ، وسيكون العيد في أي وقت نحتاج أن نخفف فيه عن أنفسنا .. على حساب خراب وغرق شقتي في تلك الفوضى ، كنت في غاية الفرح من هذا السلوك .. ، أن الله لا يأخذ منك شيء ألا يعطيك .. والدنيا متناقضة كما يجب أن تكون نصف فرح ونصف حزن نصف يأس ونصف أمل .. نصف كل شيء يتكامل مع النصف عكسه .. التكامل .. هو الحياة باختصار . وبالمناسبة جعلتهم يساعدوني في ترتيب الشقة .. السيطرة حلوة مفيش كلام !

في العمل جاء في فرقة الأطباء طيب جديد لم أراه حتى الآن ولكن سمعتُ أنه طيب متمكن رغم صغر سنه .. دفعني هذا لمقابلته ..

أسعدُ كثيراً برؤية الناجحون لأنهم هم من يحتاجهم مجتمعنا .. الإتيان في العمل أصبح شيء مفقود .. فأصبح هناك فجوة كبيرة نفتقدها .
عندما رأيتَه تفاجأت حقاً .. أنه زميلي الثاني على الكلية أحمد خالد عبد العزيز .

كان ماهراً جداً .. شعرتُ في الماضي بصغر عقله ولكني في الأغلب كنتُ لا أرى الحقيقة كما كان معتاد .. أو كنت خاطئة ، أنه قمة في الذوق والاحترام .. !

ما ذلت أتفاجأ كل يوم .. أشياء كثيرة في الماضي لم أكن أراها في الصورة السليمة ، كان عذاباً .. القضية الآن قضية الواقع ، إن الواقع .. واقع مرير .. لكنه ليس كذلك كل يوم فرغم صعوبة الأيام بالنسبة للكثير ألا أنه أفضل من الحياة التي تمشي فيها على أعتاب الوعي وألا وعي.. الكثير في نعمة وهو غير مقدر .. نرى وغيرنا لا يرى .. نتكلم ونسمع وهناك الأصم والأبكم .. فالحمد لله أولاً والحمد لله آخراً .

أصبح لدي أصدقاء في العمل كثيرون ، وأصدقاء حقيقيون ! .. حتى أنني بعد خروجي من المستشفى حيث كنت أمكث .. كنتُ أرى الناس عبر الهاتف دون أن يشعرون .. وهذا ما أسميه وسوسة ما بعد الهلوسة !

- يا زياد
- نعم يا ست نهى

- معلش شيل فيشة النت في البلكونة وحطها تاني

بينما أنا كنتُ في عندهم الدور العلوي .. أقوم ببعض الأعمال المنزلية ..
نزلتُ لشقتي لأتنعم بيوم الأجازة وأحادثُ صديقاتي على الفيس بوك ..

ولكني سمعتُ صوت صراخ حاد للفتيات ..

زياد أتى بكرسي ووقف في شرفته حيثُ .. الروتر .. ولكن وزنه أختل
فوقع من الدور الثاني .. وسال من رأسه الدماء .. فما فعلتُ شيئاً سوى
الصراخ .. !

آآه راسي .. أنا فين ..

آآآه أنا ايه الي جانبي شقتنا القديمة .. " صوتاً الشرفة ينادي " يا نهى
أنا جيت من السفر أبقي قولي لستات العمارة أني مستأجر جديد لحسن
فاكرني عفريت !

.. فنظرتُ لأعلى وصرختُ صرخة عالية ودخلتُ للشقة مرة أخرى .. أنه
تامر ! .. جارنا الشبح في شقتنا القديمة .. أما زلتُ أهلوس !

فيه أيه يابنتي بتسرخي ليه ؟ .. وجعلنا راسنا على طول كده !

زياد .. زياد .. انت عايش .. راسك كويسة !!

عايش مين وميت مين .. ايه الهبل ده .. مين دي !

هيا الخبطة نستك انا مين يا حبيب قلبي ..

والله شكلك أنتي الي اتخبطي في دماغك

انا بهظر ... حتى بص .. أنا دلوقتي في سنة كام ؟

انتي في آخر سنة في الكلية مالك يا بنتي ؟

يلا ياض .. ما أنا عارفة .. طبعاً ما انا مش آآ مش محتجك تقولي !!

وذهبتُ لصوت رنين هاتفي .. سيف ! نعم سيف أخيراً !

- ايوة يا دكتورة نهى ؟

- دكتورة نهى .. ايه الرسميات دي ياعم .. !

- عم ! .. احم .. أنا بكلم حضرتك عشان أعرف وافقتي أجي أنا وأهلي

نطلب أيد حضرتك

" حضرتي ؟ .. ايه الي بيحصل "

- ممم طبعاً .. هوأنا هراقى زي حضرتك فين يا دكتور سيف الدين !

وسمعتُ طرق الباب .. فأغلقْتُ الهاتف ..
فكانت أم علي .. فصرخت صرخة عالية صاعدة من أصابع قدمي
تدفقت حتى النخاع !

لا أعلم ماذا حدث .. ! ، لكن من الواضح أنني رجعتُ للوراء كثيراً وأني
مازلتُ أصدقُ أحلامي وأنسجم معها الواقع ، أحلم وأدمج وأهلوس ..
ربما كانت رسالة من الله لي لأكون أفضل .. لن أنسى تلك الرسالة ما
حييت .

:
ولكن من كان يصدق أنني كنت أحلم !

تمت بحمد الله .